كتاب

نبذة العصر

في أخبار ملوك بني نصر

تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيّين إلى المغرب

ضبطه وعلّق عليه

الأستاذ / ألفريد البستاني

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية


كتاب
نبذة العصر
فى أخبار ملوك بنى نصر
تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

رقم الإيداع	٢٠٠٢/٩٧٧٤
I. S. B. N الترقيم الدولى	977 - 341 -077 -3



الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ ش بورسعيد - الظاهر

ت : ٥٩٢٢٦٢٠ - فاكس : ٥٩٣٦٢٧٧

الى

حمراء غرناطة

يا انشودة الخلود وقيثارة الالهام **حمراء غرناطة**

وقف المنشدونَ فوق ربوعـــكِ وصعَّدوا اناشيدهم الالهيَّة صـــلاة الى رب الكائنات، فلا تزال ترنّ في نياط قلوب الملهمين.

جلس المؤرّخونَ تحت حنايا ساحاتـــكِ وبايديهم صحائف الأَزمنة الغابرة يستعرضون بها حوادث الايام، وارادوا ان يؤرخوا مجدك في سجل التاريـــخ الخالد فهابهم جـــلال المكان فما سطّروا الأَ خيوطاً مترجرجـــة ورسوماً مرتعشة مـــن الافتراضات، وخرجوا حاسري الرأس امام عظمة العبقرية.

برز الفلاسفة وفي افواههم مفاتيح الحكمة واشرفوا من قاعة السفراء على اسوار المدينة وابراجها المنيعة فاستعظموا العلّة ومجّدوا المعلول، فاطرقوا مفكريـــن واذا بحكيمهم يقول: «لتعرف الخليقة حقارتها امام عظمة الكون ومفاعيل الزمن. فياعلّة العلل ارحمنا.»

ذهب الشعراء الى هياكلكِ يلتمسون الالهام من ربـــة الشعر وهمّوا بوصف جمالكِ فبهرهم قوة الوحي والخيال واذا بأميرهم يسبح ويجوّد ويقول:

«قدساً في البلاد شرقاً وغرباً
حجة القوم مـن فقيه وقسِّ
مرمر تسبح النواظر فيـه
ويطول المدى عليها فترسي
وكان الآيات في جانبيه
يتنزَّلن مـن معارج قـدسِ»

ثم جاء المهندسون مستهزئين بالشعر والشعراء وبالوحي والالهام وبايديهم الخيوط والمقاييس وباشروا بقياسات المربعات، فاذا بمربعاتهـم مثلثات ومثلثاتهم دائرات وزواياهـم ساحات، فصعقوا وتمتموا قائلين: هذا من السحر بمكان فآمنّا بالسحر الحلال.

وقف الرعاة بقطعانهم فوق اطلالكِ عند المغيب فانعكست اشعة الشمس على لوحاتكِ الذهبية فتجلى بهاؤكِ وجلالكِ فعلموا ان المكان مقدّس فخلعوا النعال من ارجلهم وخرّوا ساجديـن يتلون آيات التمجيد للعلي الرحمان، واذا بالنسيم العليل يردّد تسبيح الرعاة على انغام حفيف اوراق الشجر وصوت قيثارة الطبيعة الساحرة.

ايتها الحمراء الخالدة لقد شاهدتِ جميع تلك القوافل البشريَّة تمر امامكِ وما عقبها من حوادث واحداث وانتِ ثابتة تستهزئين بالاجيال.

انت كهيكل منصوب بين الارضِ والسماء يستوحـي منكِ الشعراء ويضرع اليكِ الفنّانون ويستمد منكِ الأُدباء ويتغذى من مواردكِ المؤرخون.

سلامٌ منا اليكِ وفي القلب شوق وحنين ياحمراء غرناطـة، ياعروس الاندلس التي كُتب مهركِ بدماء الابطال وكنت عظة لقوم يعقلون.

يامعقِل العرب الكرام الاخير وحصنهم المنيع، يامفخرة النصريّين على مدى الاجيال، شادتكِ سواعد لها في جبين تاريخ الأُمم اعظم المفاخر.

فاليكِ يافتنة المغرب وحجة المشرق نهدي هذه المرحلة من تاريخ مراحل آخر ايام مجدكِ.

تطوان في ٢٤ مايو سنة ١٩٤٠

الفريد البستاني

الى
تطوان

الى بلد الأمن والعيش الخضيل.

الى معقِل العروبة وحصنها المنيع.

الى ذاك البلد الطيب الذي ينسي الغريب غربته والشريـد محنته ونكبته ويؤاسي الجميع بلسم لطف بنيه.

قد كنتِ ياتطوان ملجأ الاندلسيين بعد محنتهم، وانت الآن ملجأ كل حر أبيّ فاليك يامستودع الوطنية والخلق الجميل الذي يعتزّ بكِ كل عربي تحت كل سماء وفوق كل أديم.

الى

الدماء التي استحالت ورداً

الى تلك الدماء الذكيّة التي سُفكت في ميدان الشرف في سبيل الدفاع عن مبادىء الانسانيّة، فروت صحراء العظمة فنبتت مجداً ثم استحالت الى وردٍ عطريٍ.

الفريد البستاني

تــوطــئـــة

بسم الله الحي السرمدي

جولات قلم نزيهة

(١).

بينما كان العراق يتفرس وسوريا تتترك والاندلس تتفرنج ومصر تتطور بتأثيرهــم وتتأثر بتطورهــم بين صعود وهبوط مرتبطة بدرجات سُلّم المقاييس الأدبيّة المرهونــة بحرارة مزاج اعصاب الفاتحين كان في المغرب قبس العربيّة يشع وعلى جوانبه نفحات علم وأدب.

انهيار المملكة العربيّة في الاندلس وسقوط آخر حصون غرناطة ولّد في جوّ المغرب مادة غزيرة لاقلام الكتاب والأدباء، فكانت الارض المغربيّة الكريمة الملجأ الوحيد لنازحي الاندلس من كتبة وشعراء.

رثاء تلك الفردوس المفقود وذكريات معالم الانــدلس وبسط عيشها وجمال ارضها وتدفق جداولها في حدائقها الغنّاء وذكر مجالس زُمَر السمر واندية عُصَب الأدب والتغني بامجاد العرب وما كانوا عليه من رفعة مجد وسؤدد، كل ذلك وسّع ميدان الوحي ومجال الخيال لنفثات الشعراء.

بكى الرندي الاندلس فابكى معه المغرب فردّد صداه المشرق وكان في ذلك العهد في سباته العميق.

ان مؤرخي الأدب العربي لم ينصفوا الأدب المغربي ولا أدباء الغرب العربي فقد ظلموه بما كتبوه ودونوه فجاءت احكامهم عليه جائرة، ومن ادّعى قلة المصادر فالمكتبة المغربيّة حجة عليه (١).

ان بعض الأدباء والبحّاثة من شرقيين ومستشرقين قد مزجوا الأدب المغربي بالأدب الاندلسي ولم ينتبهوا الى مميزات الأدبين ولا الى فوارق البيئتين، فان الموشحات الاندلسيّة التي تمثلوا بها والازجال العاميّة التي دونوها لا تمثل اية ناحية من نواحي الأدب المغربي ولا اية صفة من صفات لغته المتينة التي كانت عليه في ذاك العهد، فللأدب المغربي طابعه الخاص واتجاهه الموسوم ومميزاته ظاهرة في آثار أعلامه.

قد حفظ المغرب عزة شأن اللغة وحماها من غارات الزمن وهجمات الاعاجم طيلة عدة قرون وذلك الى اوائل عصر الانبعاث الشرقي فبوادر النهضة الحديثة، فسلم حينئذٍ المغرب الى المشرق ازمّة قيادة دولة الأدب العربي ثم نام في سباته العميق، وما استيقظ الأ على اصوات المدافع ودوي القنابل وعزيف الطيارات في الربع الاوّل من القرن العشرين، فنهض بروح قوية وأدب جديد يبشران بنهضة مغربيّة متينة الدعائم، وستلتقي النهضتان المغربيّة والشرقيّة في مرج العروبة الخصب وذلك قريباً ان شاء الله.

وهكذا قُيّضَ لتلك اللغة الجميلة ان تحيى دائماً وان تجد لها في كل عصر وفي كل مصر حماة يغيرون عليها ويفدونها بالمهج والأرواح.



(١) قد كتبنا فصلًا مستوفياً في هذا الموضوع في كتابنا شخصيات أدباء العرب الجزء الثالث: شخصيّات أدباء المغرب والاندلس: الذي يهتم بتهيئته للنشر معهد الجنرال فرنكو.

(٢)

حكايـة المخطوطـة

كان من حكمة الجنرال فرنكو وثاقب بصيرته في اثناء حرب تحرير اسبانيا ان يقرن الى انتصاراته العسكرية انتصارات أدبية تكون نواة نهضة عربية اسبانية جديدة تمحو ما اقترفته الحكومة السابقة على الثقافة والمدنيّة من شر وظلم وتكون ايضاً في الوقت نفسه فاتحة عهد جديد لحسن التفاهم ولتقوية الصلات الثقافيّة والأدبيّة بين الأمتين المتجاورتين التي تربطهما منذ القدم روابط ثقافة عالية وتاريخ مشترك ومدنيّة سامية تغذت منها اوربا وعاشت عليها طيلة سبعة قرون.

ففي صيف عام ١٩٣٧ أمرني سعادة الكولونيل بيكبدر المفوّض السامي الاسباني بالمغرب المعروف بحبه الشديد للعرب وتفانيه في سبيل نشر الثقافة العربيّة في هذه المنطقة السعيدة، وذلك نزولاً عند رغبة واوامر صاحب السمو الملكي مولاي الحسن بن المهدي بن اسماعيل نصير العلم والأدب ورافع لوائهما ومجدد مجد العرب في هذا القطر المحبوب: ان اقوم برحلات عليّة تنقيبيّة وان اجول بين القبائل والمداشر والدساكر المغربيّة من حواضر وبوادي ابحث في الخزائن والمكاتب عن آثار العرب الكرام وكنوزهم الأدبيّة المكنونة وما تركوه من منتوجات افكارهم ومولدات قرائحهم.

ففي المغرب كنوز ودُرَر اناخت عليها يد الزمن وسطت عليها عاديات الدهر، وللمغاربة ولعٌ كبير في اقتناء المخطوطات النفيسة يحافظون عليها كانمن الذخائر وبها يتنافسون.

فتلقيت أوامر الكولونيل بيكبدر بكثير من الاغتباط والسرور، فهذه هي

ضالتي المنشودة وجانب كبير من رسالتي الأدبية، فالله يسدد الخطى ويرشدنا الى ما فيه خدمة الثقافة العربية وحسن رضاه.

فتوكلتُ على الله وباشرت في الحال برحلات متعددة الى قبائل غمارة التي كانت مشهورة بكنوزها الأدبية، فقمت من الجبهة الى بني ارزين فبني خالد فبني زيات فبني منصور وبني سلمان فقبائل الاخماس العليا والسفلي الى غير ذلك من القبائل الجبلية الشرقية، فدونتُ كثيراً من المعلومات وجمعتُ عدداً من الوثائق والمخطوطات، تهتم بنشرها اليوم مؤسسة الجنرال فرنكو للأبحاث العربية الاسبانية بعناية مديرها الحازم الأديب الاسباني المعروف: الضون طوماس غرسيا فيغيراس، ثم قمتُ على الاثر برحلات الى الناحية الغربية وقبائلها الساحلية والجبلية.

فادّى بنا الترحال في يوم صيف اشتدّ هجيره الى مدشر صخرة من بني كورفط وكنت علمتُ من بعض اصدقائي التطوانيين ان هناك بعض الكنوز الخطية. فسألنا عن القائد فأُرشدنا اليه، فوجدناه جالساً فوق دكة حجريّة امام باب الجامع، تحت ظل الشجر وحوله جماعة من عيون القبيلة ومقدميها يتحادثون، فلما اقتربنا منه ترجلنا فوقف وهشّ وبشّ فسلمنا فاجاب باحسن واشار الى غلام كان بالقرب منه فأخذ منا الخيل وذهب بنا الى داره حيث اعدّ القرى.

وكان برفقتي شاب اسباني من المراقبة الغربية وآخر مغربي شفشاوني المولد تطواني المنشأ، فاكلنا على بركة الله، وبعد ما رُفع (طيفور) الطعام وتطيّبنا بماء الزهر الخالص وتبخّرنا بعود الند قال لنا القائد: «ان كان لكم حاجة في القبيلة فهي مقضية بحول الله» فبادرتُ وابلغته أَمر مولانا الخليفة حفظه الله، فاحني رأسه تعظيماً لاسمه الميمون ودعى له بالتأييد وطول العمر ونادى الفقيه، فانبرى من بين الجماعة رجل في اواخر العقد الرابع من عمره طويل القامة واسع الصدر عريض المنكبين وعلى سيماء وجهه دلائل الذكاء والوقار، فبادره القائد باللهجة

المغربية سائلًا: «كايـــن شي كتب خط اليد في الدشار»: «كاين شي حاجه» اجابه الفقيه وذهب بنا مـــع المقدم الى دار قريبة مـــن الجامع، دار حقيرة الاثاث ولكنها نظيفة، فالفلاح المغربي نظيف في العموم، وبعد الاستأذان دخلنا الـــدار فاستقبلنا ربُّها بالترحاب واحضر حالاً (الاتاي) ثم هبط والفقيه خزيناً ارضياً ورجعا بعد هنيهة ووضعا بين ايدينا بعض مخطوطات ووريقات متبعثرة كانت موضوعـــة في خزين المؤونة فغزا اكثرها العثة والارضة، فأخـذتُ تلك الكنوز بشغف وشوق وامعنت في دراستها، فلفت نظري مخطوطتان في حالة جيدة، الاولى: حَلبَة الكُمَيت للأديب الكاتب شمس الدين ابي عبد الله النواجي المتوفى عام ٨٥٩ والثانية: شرح مقصورة ابن حازم القرطاجنِّي لابي عبد الله محمد الشريف الحسني السبتي.

فبينما كنت اقلّب صفحات المخطوطة الاولى عثرت على وريقات متناثرة وضعت عفواً بين صفحاتها وهي تختلف عنها بالموضوع والخط والحجم، فأخذت انظم حلقات تلك العقد المنثور وابحث عن المفقود منها في الخزين التي كانت مدفونة فيه، فتجمع لديَّ مجموعة من تلك الوريقات فطلبتها مـــن صاحبها مع المخطوطتين المذكورتين وساومته عليها فتفقنا، ثم ودعنا الجماعة وشكرنا لهم حسن صنيعهم وضيافتهم.

ولما رجعت الى العاصمة بعد تلك الرحلات الشاقة أخذت بدراسة تلك الوريقات فانجلى امرها وظهر انها مبتورة ومتناثرة من مؤلَّف مخطوط كتب في تاريخ الملوك النصريين وسقوط آخر حصون العرب في الاندلس وتسليم غرناطـة الى غير ذلك مـــن نقاط التاريخ الهامة، وكنت قد قرأت ما كان قد كتبه في هـــذا الموضوع سعادة الشريف النبيل حجة العروبـــة والاسلام الأمير شكيب ارسلان في ذيـــل روايته (آخر بني سرَّاج) نقلًا عـــن بعض فصول نشرها المستشرق الالماني المعروف مارك مولّر في مونيخ عام ١٨٦٣ تحت عنوان: اشياء عن غرناطة مع ترجمة المانيّة، فأخذتُ ابحث علني اظفر بنسخة كاملة لهذه النصوص يكون نشرها مـــع غيرها

من المخطوطات القيمة خدمة كبيرة لابناء لغتي ومنهلاً عذباً لورّاد ينبوع تاريخ الاندلس ونبراساً ينير بعض القضايا المظلمة من هذه الناحية المعقّدة (١).

فقد عثرتُ في خزانة احد النبلاء التطوانيين على نسخة كاملة فيها كثير من الفصول التي بترت من مخطوطة المستشرق الالماني مارك موللر، فأخذت تلك النسخة وضبطتها ونقحتها وصححت بعض التعابير والالفاظ التي شوهتها يد النساخ ومسختها، ووضعت لها العناوين والتواريخ والحقتها بفهارس جغرافية لاسماء المدن والقرى والامكان وما يقابلها باللغة الاسبانية القشتالية.

والآن يضعها معهد الجنرال فرنكو بين ايدي مؤرخي العرب العصريين ويقدمها الى كافة محبي البحث والتنقيب من عشّاق تاريخ المغرب والاندلس.

وبهذه المناسبة نرفع عاطفة الشكر الجزيل الى حضرة الكاتب الاسباني القدير والمستعرب الجليل المعروف الذون كرلوس كيروس مدير معهد الدروس المغربيّة بتطوان الذي تطوع لترجمة المخطوطة فخدم التاريخ المشترك بعمله الجليل هذا وقدم الى مستعربي الاسبان والى المشتغلين بهذه الناحية التاريخيّة نصاً اسبانياً كاملاً لهذا الاثر النفيس. كما واننا نشكر صاحبي الفضيلة العلاّمتين الجليلين والقانونيين الكبيرين: الفقيه الفاضل محمد المرير رئيس المحكمة العليا للاستئناف الشرعي بما افادنا من معلومات في ضبط بعض اسماء الاماكن والمدن المغربية، والفقيه الجليل رئيس المجلس الاعلى للتعليم الاسلامي ومؤرّخ تطوان الاكبر الحاج احمد الرهوني فقد ارشدنا الى بعض نقاط تاريخيّة، فشكرنا للجميع يُسدى.

---

(١) ثم بعد ذلك قد توسّعت الفكرة وأُنشئت مؤسّسة الجنرال فرنكو للأبحاث العربيّة الاسبانيّة التي نجني ثمارها اليوم

(٣)

قيمة المخطوطة التاريخية

قد كتب هذا السفر التاريخي النفيس رجل حربي حضر المواقع وخاض غمراتها وراقب الحوادث والانقلابات وما عقبها من احداث ومفاجآت وشاهد انهيار تلك الحصون والابراج وكان قد اشترك في الدفاع عنها.

فذلك الجندي الذي عرك الايام فعركته والذي أخذ من عظات الدهر عبراً تتبع تلك الحوادث فجاء يدوّن بريشة نزيهة ما شاهده عياناً. فكان لظهور وثائق هذا المحارب القديم الذي اخفى اسمه فيما كتبه قيمة كبيرة في عالم التاريخ، وقد كانت ولا تزال موضوع اهتمام اعلام الاستشراق والاستعراب والمؤرخين.

فكان في طليعة المشتغلين بها المستشرق الالماني المشهور مارك مولّر فقد نشر في مونيخ عام ١٨٦٣ كتاباً تحت عنوان: اشياء عن غرناطة: (١) جمع بين دفتيه كثيراً من الحوادث التاريخيّة التي تتعلق باواخر عهد العرب في غرناطة واضاف اليها اكثر فصول هذه المخطوطة وجعل العنوان كما اخذه (كتاب اخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر) غير ان طبعة مولّر لم تكن موفقة، ففيها كثير من التحريف والتصحيف عدا عن الاغلاط وعدم التنسيق، كما ان المستشرق الفاضل قد اهمل اهم فصول المخطوطة وهو نزوح الاندلسيين الى المغرب، ولعل ذلك بتر في اصل المخطوطة التي اعتمد عليها.

وكان ايضا المؤرخ الاسباني المعروف الضون ميكيل غريّدو اتينسا قد

(1) Die Letzten Zeiten von Granada:
Herausgegeben von Marc. Jos. Müller. München 1863.

استشهد ببعض فصول هـذا المؤلف فيما كتبه عن ملوك الكاثوليك في مجموعته التاريخية (١).

وقد كُتبت هـذه النسخة التي اعتمدنا عليها الى الحاج عبد الكريم راغون التطواني (٢) كما جاء في آخر المخطوطـة واثبتناه في المتن مع اسم الناسخ، اما المؤلف فقد اخفى اسمه ولا يزال مجهولاً .

---

(1) Colección de documentos relativos a Granada, publicados por Miguel Garrido Atienza. Granada 1910.

(٢) هو الحاج عبد الكريم راغون التطواني الاندلسي الصامتي من الأُسر الاندلسية الكريمة التي نزحت الى تطوان .

وقد جاء في ترجمة مولاي محمد بن عبد الله في : كتاب اتحاف اعلام الناس : للشريف الاصيل ناقب العائلة العلوية الشريفة الكريمة العلاّمة الجليل والمؤرّخ الثقة مولاي عبد الرحمان ابن زيدان ما نصه : وفي سنة واحد وثمانين ومائة والف قدم عليه من القسطنطينية عبد الكريـم راغون التطواني وفي معيته استرسالية من المعلمين الاختصاصيين العارفين بانشاء الاساطيل وصب المدافـع وعمل القنابل والمجيدين في الرمايـة وفنون الحرب وكانت اول بعثة وردت مـن القسطنطينية بعد السعديين ولما وصلوا للحضرة فاوضهم في انشاء دار صناعة الاساطيل فرسموا خريطتها وبينوا شكلها وأُسلوبها وما يلزمها من النفقة الباهظة وطول المدة، فاعرض عنها واستخدمهم في شؤون اخرى فوجـه بعضهم للرباط لبناء المراكب الكبرى وآخرين لتطوان لصب القنابل الضخمة وآخرين لتعليم رماية المدافع بالمدن المهمة . فافادوا ما شاء الله ان يفيدوا وكانوا ثلاثين من صناديد الترك اقاموا بالمغرب الى ان توفي المترجم فسح الله له في عدنه .

لغة المخطوطـــة وأسلوب المؤلف

قد نهج المؤلف باسلوبه نهجاً يختلف عن أسلوب اكثر المؤرخين في عصره، فقد تجنب التطويـــل الممل والاكثار المبتــذل والمبالغات الوهمية وسلك طريـــق الاختصار والاقتصار كما افادنا في مقدمته: «وعولتُ فـــي ذلك على الاختصار والاقتصار وتركتُ التطويل والاكثار لان باعي في التأليف قصير وبضاعتي في الفصاحة مزجاة». اما مـــن حيث اللغة فالاضطراب ظاهر في جميع النواحي، وان كان المؤلف قد خالف بعض المؤرّخين مـــن ابناء عصره في الأسلوب فقد جاراهم في الاظهار والتعبير.

والله ولي التوفيق ولوحده العصمة وهو حسبنا

ونعم الوكيل

تطوان في ٢ يوليو ١٩٤٠

الفريد البستاني

مقدمة المؤلف

الحمدُ لله المبدي، المعيد، المنشيء، المبيد، الفعّال لما يريد، الذي جرت احكامه بمشيئته السابقة في جميع العبيد، من اعزاز واذلال، وادبار واقبال، واكثار واقلال، وهداية واضلال. كل ميسّر لما خلق له، وجارٍ على ما كتب له، سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون.

نحمده سبحانه وتعالى على كل حال، ونشكره على جميع نعمه التي لاتحصى شكراً كثيراً دائماً لا ينقطع بانقطاع الايام والليال، ونشهد ان لا اله الآ الله وحده لا شريك له، المنفرد بالعزة والجلال، ونشهد ان سيدنا ونبينا ومولانا محمداً عبده ورسوله خاتم الانبياء والارسال، صلى الله وسلم عليه وعلى ماله من الصحب والآل، صلاة دائمة لا نفادلها ولا زوال.

اما بعد :

فهذا كتاب اذكر فيه نبذة من بعض تواريخ ما وقع في مدة الأمير ابي الحسن علي بن نصر بن سعد ابن السلطان ابي عبد الله محمد ابن السلطان ابي الحسن ابن الملوك النصريين، ومدة ملك ابنه محمد واخيه محمد ايضاً رحمهما الله، وكيف استولى العدو على جميع بلاد الاندلس في تلك المدة.

وعوّلتُ في ذلك على الاختصار والاقتصار وتركتُ التطويل والاكثار، لان باعي في التأليف قصير، وبضاعتي في الفصاحة مزجاة وسميته :

نبذه العصر في اخبار ملوك بني نصر

والله الموفق للصواب وهو حسبنا ونعم الوكيل

ذكر ما وقع للامير ابي الحسن علي بن سعد مع قواده عام ٨٨٢

قال المؤلف عفا الله عنه: لمّا استقام ملك الاندلس للأمير ابي الحسن علي ابن سعد ودانت له جميع بلاد الاندلس ولم يبقَ له فيها معانـد، وذلك بعد خطوب واحداث وكوائن جرت له مع ابيه ومـع قواده بعد موت ابيه، في اخبار وحوادث يطول ذكرها، وذلك انه كان محجوراً للقواد ولم يكن له من الملك الاّ اسمه، فاراد ان يقوم بنفسه ويزيل عنه الحجر، فانفرد بنفسه عن قواده، كما انفرد معه بعضهم ووقعت بينهم حدوث واحداث، وذلك انه لما اعتزل عن قواده اخذوا اخاه محمد بن سعد وكان اصغر منه سناً فبايعوه واشتعلت نار الفتنة بينهم، فاظهر الأمير ابو الحسن التوبة للناس ووعدهم ان قاموا بدعوته أن يصلح شأنهم وان يظهر الاحكام وينظر في مصالح الوطـن ويقيم الشريعة، فمالت اليه الرعية واعانوه على ما نواه مـن مراده وغيرهم الى ان اظفره الله بهم بعد حروب كثيرة، وذلك ان اخاه محمد افلت من ايدي القواد الذين بايعوه وسار الى اخيه ابي الحسن وقدّم الطاعة.

فلمّا علم القواد بذلك اجتمعوا في مدينة مالقة، فحاصرهم الأمير فيها حتى اطاعوه، فاخذهم وقتلهم كلهم، وانقرضت اعلام الفتنة وخمدت نارها ودانت له جميع بلاد الاندلس، ولم يبقَ له فيها معاند، وهو مع ذلك يغزو بلاد الروم المرة بعد المرة حتى غزا غزوات كثيرة واظهر الاحكام ونظر في مصالح الحصون، ونما (١) الجيش، فهابتـه النصارى وصالحته براً وبحراً، وكثر الخير وانبسطت الارزاق،

(١) مخط: نمي الجيش :Cod

ورخصت الاسعار، وانتشر الأمن في جميع بلاد الاندلس وشملتهم العافية في تلك المدة، وضُربت سكة جديدة (١) طيبة.

عرض الجيوش والفرسان في حمرآء غرناطة
(من ١٩ ذي الحجة عام ٨٨٢ الى ٢٢ محرم عام ٨٨٣)

ثم ان الأمير اراد ان يميّز الجيش وان يظهر للناس ما معه من الفرسان ليزيدهم في المغارم، فهيّأ موضع الميز بمدينة الحمراء من غرناطة بالموضع المعروف بالطبلة عند باب الغدر، (٢) فبنى مكاناً لجلوسه واصلح الطريق والرحبة لمجال الخيل وندب الفرسان. ثم ابتدأ الميز (٣) يوم الثلاثاء التاسع عشر لذي الحجة عام اثنين وثمانين وثمانماية، فكان اهل غرناطة يخرجون كل يوم الرجال والنساء والصبيان للسّبيكة وما حول الحمرآء يتنزهون.

فاقبلت فرسان الاندلس باجمعها من شرقيّتها وغربيتها، فكان الأمير يميّز كل يوم عليه طائفة منهم الى يوم الثاني والعشرين لمحرم فاتح عام ثلاثة وثمانين وثمانماية بموافقة السادس والعشرين من شهر ابريل العجمي.

فكان من قضاء الله عزّ وجل وما قدّره في ذلك اليوم وهو آخر الميز، وكان عندهم المهرجان الكبير والنزهة العظمى، فاختلفت الناس، وخرج جل اهل غرناطة من رجال ونساء وصبيان وشيوخ وكهول، وجاء كثير من اهل القرى من

---

(١) مخط: جيدة :Cod

(٢) هكذا في الاصل) وفي مخطوطة اخرى العدرر، كما اثبتها المستشرق مارك مولر

(٣) : ميّز الشيءُ نظر فيه وفضّل بعضه على بعض، وهنا يُراد عرض الجنود والفرسان والذخيرة وآلات الحرب وجميع قوات الدولة.

حوز غرناطة للنزهة فاجتمعوا بالسبيكة الحمراء(١) وما حولها وامتلأت تلك المواضع بالخلق الكثير واقبلت الفرسان وصاروا يتألفون في السبيكة وذلك وقت الضحى.

حادثة سيل غرناطة العظيم
عام ٨٨٣

فبينما الناس كذلك في المهرجان اذا بسحابة عظيمة قد انشأها الله تعالى في السماء. فارعدت وابرقت وانتشرت من ساعتها بقدرة مكوّن الأشياء على السبيكة وما قرب منها وعلى غرناطة وما حولها وعلى وادي هدّارة وجاءت بمطر عظيم، ولم ينزل المطر يزداد ويعظم ويكثر حتى صار كالانهار العظيمة، وجاءت السيول من كل ناحية وعظم امرها وعاين الناس الهلاك من عظم ما رأوا من شدة المطر وكثرة السيول من كل ناحية، واحتمل السيل الطرق وما حولها وانقطع الناس وحال السيل بينهم وبينه، فكان لا يسمع الا بكاء الصبيان وضجيج النسوان واصوات الرجال بالدعاء الى الله تعالى والابتهال، الى ان ارتفع المطر وجاء وادي هدّارة الذي يشق غرناطة بسيل عظيم احتمل ما على ضفتيه من الاشجار العظام من الميس(٢) والدردار(٣) والجوز واللوز وغير ذلك من الاشجار العظام

(١) السبيكة: محل متسع من حمراء غرناطة بقربه مدافن ملوك بني الاحمر.

(٢) الميس: شجر عظيم يقرب من الجوز الرومي الا ان ورقه ارقّ واصغر، له حب اسود اكبر من الفلفل حلو يؤكل يقال له بالاسبانية: Alisio

(٣) الدردار: شجر عظيم له زهر اصفر وورق شائك وثمر كقرون الدفلى، «ويقال له شجر البق» (انظر ابن البيطار) وترجمه دي برسفال بكلمة: Ormeau,(Ulmus) واثبته الجورنال اسياتيك بلفظة: Frêne, (Fresno) وهو كثير الوجود في الاندلس

الثابتة في الارض ودخل البلد واحتمل ما على ضفتيه من الدور والحوانيت والمساجد والفنادق ودخل الاسواق وهدم البناء المشيد ولم يبق من القناطير الآ الاقواس، وذهب بكل ما كان عليها من البنيان، ثم جاء السيل بتلك الاشجار العظام التي اقتلعت فتراكمت في البلد في آخر قنطرة منه فسدت مجاري الوادي فتراكم السيل والشجر في قلب البلد وعاين الاهالي الهلاك، ودخل السيل بتارة (١) والقيساريّة حتى دخل بعض حوانيتها، ووصل الى رحبة الجامع الاعظم والى القراقين (٢) والصّاغة، (٣) والحدّادين وغير ذلك من الاسواق والدور.

فلطف الله تعالى بعباده، فنفض السيل بقوة تراكمه بالقنطرة والسور وخرج ذلك كله خارج البلد. وكان هذا اليوم من اعظم الايام، شاهد فيه كل من رآه قدرة القادر القهار الملك العلاّم سبحانه وتعالى، ولم يسمع المعمّرون بمثل ذلك اليوم.



قال المؤرّخ عفا الله عنه: ومن وقت هذا السيل العظيم بدأ ملك الأمير ابي الحسن في التقهقر، والانتكاس والانتغاص، وذلك انه اشتغل بالذّات، والانهماك في الشهوات، واللهو بالنساء المطربات، وركن الى الراحة والغفلات، وضيع الجند واسقط كثيراً من نجدة الفرسان، وثقّل المغارم وكثّر الضرائب في البلدان، ومكّس الاسواق، ونهب الاموال، وشحّ بالعطاء، الى غير ذلك من الأمور التي لا يثبت معها الملك.

وكان للأمير ابي الحسن وزير يوافقه على ذلك ويظهر للناس الصلاح والعفاف وهو بعكس ذلك، وكان الأمير المذكور متزوجاً بابنة عمه الأمير محمد الأيسر،

---

(١) وفي مخط: تيارة :Cod

(٢) وفي مخط: قراقير، وهكذا انبثها المستشرق مارك مولر في ترجمته الالمانية

(٣) سوق الصياغين

وله منها وَلَدان محمد ويوسف، فمن جملة انهماكه انـه اصطفى على زوجته رومية اسمها ثُرَيـة، وهجر ابنة عمه واولادها منه، فادرك ابنة عمه من الغيرة ما يدرك النساء على ازواجهنّ ووقع بينهما نزاع كثير، وقام الاولاد محمد ويوسف مع أمهما وغلظت العـداوة بينهم، وكان الأمير ابو الحسن شديـد الغضب والسطوة، فكانت الأم تخاف على ولديها منه، فبقيت الحال كذلك مـدة والأمير مشتغل باللذات منهمك في الشهوات، ووزيره يضبط المغارم ويثقلها ويجمع الاموال ويأتيه بها ويعطيها لمن لا يستحقها ويمنعها عـن من يستحقها ويهمل كل مـن فيه نجدة وشجاعـة مـن الفرسان ويقطع عنهم المعروف والاحسان، حتى باع الجند ثيابهم وخيلهم وآلة حربهم واكلوا اثمانها، وقتل كثيراً من اهل الرأي والتدبير والرؤساء والشجعان من اهل مدن الاندلس وحصونها .

انقضاء معاهدة الصلح واستئناف الحرب بين النصارى والمسلمين
محرم عام ٨٨٧

ولم يزل الأمير مستمراً على حاله، والجيش في نقص والملك في ضعف الى ان انقضى الصلح الذي كان بينه وبين النصارى، فلم يشعر بهم احدٌ حتى دخلوا مدينة الحمة (١) وذلك انهم طرقوها ليلاً على حين غفلة من اهلها فدخلوا قصبتها وكانت خالية فلم يكن بها الأعيال قائدها، فملكوا القصبة (٢) والناس نيام مطمئنين، فلم يشعر احد الا والنصارى قد

(١) وتكتب ايضاً الحامّة : والحُمّة في اللغة كل عين بها ماء حارٌ ينبع تستشفى به الاعلّاء والحمّات كثيرة في اسبانيا وهيَ اسماء تطلق على اماكن معروفة والمقصود هنا مدينة الحُمّة من اعمال مالقة

(٢) القصبة : عند المغاربة والاندلسيين : القلعة المحصنة في اعالي البلد

هبطوا من القصبة على البلد بالسيف والقتل والسبي الشديد حتى قتل من نفد اجله، وفرّ من قدر على الفرار، واستولى النصارى على البلد وجميع ما كان فيه من الرجال والنساء والصبيان والاموال، وكان ذلك في التاسع عشر من شهر محرم الحرام فاتح سبعة وثمانين وثمانماية.

فلمّا بلغ اهل غرناطة ما فعلت النصارى باخوانهم المسلمين، هاجت الرعيّة وقالوا لاصبر لنا على هذه المصيبة العظمى، ولا خير لنا في عيش بعد هذه النكبة الكبرى، اما ان نفكّ اخواننا او نموت دونهم. فاجتمعوا مع الأمير ابي الحسن ووزيره فجعل الأمير والوزير يُعجزانهم عن المسير ويتربصان بهم ويقولان لهم اصبروا حتى نأخذ اهبتنا ونعمل على حال الحرب، فلم تزل بهم العامة حتى اخرجوهما.

فتقدّم صدر الجيش فوجدوا النصارى قد اخرجوا من البلد ما سبوا من الرجال والنساء والصبيان والاموال وقد اوقروا الدواب بذلك وهم عازمون على المسير الى بلادهم. فلما رأوا خيل المسلمين قد اقبلت عليهم حطوا الاحمال ودخلوا الى البلد وتحصنوا بالاسوار، ثم اقبل المسلمون بمحلتهم واقتربوا منهم فقاتلوهم قتالاً شديداً بجد وعزم وقلوب محترقة وحزم حتى دخلوا بعض ابواب المدينة وكسروه وحرقوه وتعلقوا باسوار البلد وطمعوا في الدخول اليه، فبينما هم كذلك اذ وصل لهم امر من الأمير ابي الحسن والوزير يأمراهم فيه بالرجوع عن القتال. فابى الناس عن الرجوع، فقالا لهم: اذا كان غداً ندخل عليهم اول النهار لان الليل قد اقبل ودخل علينا.» فترك الناس القتال ورجعوا الى محلاّتهم.

اما النصارى فباتوا يصلحون شأنهم ويمنعون اسوارهم ويغلقون نقابهم.

فلما اصبح الصباح نظر المسلمون الى البلد فاذا هو على صفة اخرى من المنعة والتحصين والاستعداد، فصعب عند ذلك على المسلمين الدخول اليه بل والدنو منه.

حصار مدينة الحُمَّة

عزم المسلمون على حصار البلد والاقامة عليه، فاقبلت وفود المسلمين من كل ارض من بلاد الاندلس، واجتمع في ذلك المحل محلة عظيمة وفتحوا الاسواق للبيع والشراء وجلبوا لاسواقهم كل ما يحتاجون اليه من الاطعمة والعلف والزاد وغير ذلك وحاصروا العدو حصاراً شديـداً ومنعوا عليه الماء والحطب والداخل والخارج، والعامة في ذلك بحزم وعزم وجد واجتهاد ونيّة صادقة وقلوب محترقة، والوزير يعد الناس بالدخول والقتال وعداً بعد وعد، ويقول عن قريب نأخذهم عطشاً وها نحن نعمل الحيلة في الـدخول عليهم والتقصير والتفريط.

وكان الغش يبدو منه شيئاً بعـد شيء حتى تبيّن للعامـة وخاصتهم ولاح لهم كالشمس وظنوا بالملك والوزير ظنون السوء وكثر الكلام القبيح بينهم.

فعند ذلك هاج شيطان الفتنة بينهم وتحدث الناس بعضهم مع بعض في مسائل غشهما للمسلمين.

فبينما الناس كذلك في اساءة ظنهم بأميرهم وبوزيره اذا بهما قد استعملا حيلة وكتبا كُتُباً مزوّرة كانها اتتهما من بعض من نصحهم من ناحية المسلمين المجاهدين المجاورين لبلاد الكفرة دمرهم الله، يعلموهم بها: «ان الطاغية ملك النصارى جمع جمعاً عظيماً وحشد حشوداً كثيرة وعزم على نصرة النصارى المحصورين في بلاد الحُمَّة وهو قادم عن قريب ولا طاقة لكم بملاقاته:»

فحين اعلمهم الوزير بما ذُكر وخوّفهم بذلك سُقِط في ايدي الناس، فأمرهـم حينئذٍ بالرحيل والاقلاع عن دار الحرب، فرحل الناس كرهاً باكين متأسفين بحسرة وفجعة يالها مـن حسرة، وانصرف الناس كل واحد الى وطنه.

حصار الحُمّة ثانية والرجوع عنها

ثم انه بعد ذلك بشهور قلائل امر الأمير ابو الحسن بالمسير الى بلد الحمّة مرة اخرى فذهبوا ثانية، وحاصروها فلم يقدروا منها على شيء وانصرفوا عنها وتركوها، فلما رأى العدو دمره الله ان المسلمين قد عجزوا عن اخذ الحمّة ونصرة من فيها من الاسارى وقــع له الطمع في بــلاد الاندلس، فأخذ في الاستعداد والخروج اليها.

موقعة لَوْشة العظيمة وانتصار المسلمين
٢٧ جمادى الاولى عــام ٨٨٧

فلما كان شهر جمادى الاولى من عام التاريخ قبل هذا خرج صاحب قشتالة بمحلة عظيمة وقصد مدينة لوشة فنزل عليها بمحلته وكان قــد اجتمع فيها جملة من نجدة رجال غرناطــة حين سمعوا بخروجــه اليها، فلما قرب من البلد خرج اليه الرجال والفرسان فقاتلوه قتالاً شديداً وردوه على اعقابه، وقتلوا كثيراً من النصارى واخذوا لهم من تلك العدة التي قربوا بها من الانفاط (١) وغير ذلك من عدة الحرب.

ثم ان الامير أبا الحسن امدّهم بقائدٍ من غرناطة يقود جيشاً من الفرسان في تلك الليلة، فاشتدت عند ذلك عصبة المسلمين وقويت قلوبهم.

فلما اصبح الصباح رأى النصارى الزيادة في جيش المسلمين مع ما نالهم من اول

---

(١) النَّفّاطة: اداة من النحاس يُرمى فيها بالنفط والنار وهي من آلات الحرب التي تقذف الكُتَل الحديديَّة على الابراج فتهدم ما اصابته، وهذه اللفظة كثيرة الاستعمال عند مؤرخي الاندلس ومنهم من يكتبها بالضاد (انفاض)

الليل من الهزيمة والقتل واخذ العدة داخلهم الرعب واشتدّ خوفهم فاخذوا في الارتحال عنهم، فخرج اليهم المسلمون فقاتلوهم قتالاً شديداً فانهزم النصارى وتركوا كثيراً من اخبيتهم وامتعتهم واطعمتهم وآلة حربهم وتركوا من الدقيق شيئاً كثيراً فاحتوى المسلمون على جميع ذلك كله، وانصرف العدو مهزوماً مفلولا الى بلده، ففرح المسلمون بذلك فرحاً عظيماً، وكان ذلك في السابع والعشرين من جمادى الاولى من عام سبعة وثمانين وثمانماية.

فرار ابني الأمير ابي الحسن: محمد ويوسف ومبايعة اهل وادي آش وغرناطة لهما عام ٨٨٧

وفي هذا اليوم بلغ الخبر لمن كان في لَوْشَة (١) ان ابني الأمير ابي الحسن: محمد ويوسف هربا من القصبة خوفاً من ابيهما، وذلك ان شياطين الانس صاروا يوسوسون لأمهما ويخوّفانها عليهما من سطوة ابيهما ويغوونها مع ما كان بينها وبين مملوكة ابيهما الرومية ثُريّة من الشحناء، فلم يزالوا يغوونها حتى سمحت لهم بهما: فاحتالت عليهما بالليل واخرجتهما اليهم وساروا بهما الى وادي آش، فقام اهل وادي آش بدعوتهما ثم قامت غرناطة ايضاً بدعوتهما واشتعلت نار الفتنة ببلاد الاندلس ووقعت بينهم حروب وكوائن اعرضنا عن ذكرها لقبحها، لان الأمر آل بينهم الى ان قَتَل الوالد ولده.

ولم تزل نار الفتنة مشتعلة وعلاماتها قائمة في بلاد الاندلس والعدو دمره الله مع ذلك كله مشتغل بحيلته في أخذ الاندلس الى ان ساعده الزمان ووافقته الاقدار.

---

(١) لَوْشَة: Loja من اعمال مالقة، كانت مدينة عامرة في عهد العرب، استولى عليها الملك فرناندو سنة ١٤٨٨

موقعة بلّش وشرقيّة مالقة وانتصار المسلمين

صفر عام ٨٨٨

فلما كان شهر صفر من عام ثمانية وثمانين وثمانماية اجتمع من زعماء النصارى واقنادهم (١) جمع عظيم ولم يكن معهم ملكهم وقصدوا قرى بلّش وشرقيّة مالقة يريدون أخذ اهلها وفسادها، فلما وصلوا تصايح(٢) اهل تلك الجهات واجتمعوا رجالاً دون فرسان وصاروا يعترضون النصارى في المضايــق والاوعار والمخانق ويقاتلونهم ويقتلون منهم خلقاً كثيراً، فلما رأى النصارى ذلك جعل الله في قلوبهم الرعب ووقع بينهم الخذلان فانهزموا في تلك القرى والمخانق(٣) والاوعار وصاروا يتهافتون فيها تهافت الذباب والفراش في النار والمسلمون في اثرهم يقتلونهم ويأسرونهم، ولم تغن عنهم كثرتهم ولاعدتهم شيئاً بأذن الله.

وكان في وقت هذه الكائنة الأمير محمد ابن سعد بمدينة مالقة فلقي النصارى مــن ناحيته فقتل واسر منهم ايضاً خلقاً كثيراً وولــوا الادبار وأسر منهم ما ينيف على الفي اسير فيهم جماعة مــن قوادهم واقنادهم وهرب باقيهم وتركوا خيلهم ودوابهم ورحالهم وامتعتهم، فاحتوى على ذلك كله المسلمون وحملوه الى مدينة مالقة فجمعوه بها على ان يقسموه على كل مــن حضر الوقيعة المذكورة، فحصل

---

(١) جمع قندي وهي ترجمة لفظة Conde بالاسبانية ومن المؤرخين من يستعمل لفظة: القمط مكان الكند والكندي والقندي وتجمع على اقماط

(٢) وفي ، مخط : تصالح كما استعملها مُولر في ترجمته الالمانية.

(٣) مخط : الخنادق :Cod

كله بأيدي الظلمة ولم يظهروا فيه حقاً لاحد ممن حضر الوقيعة المذكورة فلم ينتج لهم منه شيء وكان ذلك عليهم وبالاً والعياذ بالله.

وكانت هذه الكائنة في الحادي عشر لصفر من عام التاريخ قبل هذا.

موقعة اللسّانة وأسر الأمير محمد بن علي
ربيع الثاني عام ٨٨٨

وفي شهر ربيع النبوي من عام التاريخ خرج الأمير ابو عبد الله محمد بن علي باهل غرناطة ومن حولها من الحصون والقرى الى بلاد الروم، فبينما هم في ارض اللسّانة راجعون بالغنيمة اذ خرج عليهم جمع من النصارى ليس بالكثير فانهزم المسلمون امامهم وتبعهم النصارى يقتلونهم ويأسرونهم حتى لحقوا الأمير محمد بن علي فدخل في غمار الناس واختفى بينهم وجعل يقاتل مع المقاتلين حتى أسرَ مع من أسر من المسلمين ولم يعرفه احد من النصارى، وكانت هزيمة شنيعة قتل فيها خلق كثير وأسر آخرون.

واستولى النصارى فيها على كثير من الخيل والسلاح والدواب والمتاع واشنع ما كان فيها أسر الأمير ابي عبد الله محمد بن علي لانه كان سبباً في هلاك الوطن.

فجمع النصارى كل ما اخذوه من المسلمين من اسارى وامتعة وحملوه الى حصن اللسّانة ولم يعرفوا الأمير حتى عُرّفوا به فاخرجوه من بين الاسارى وعظّموه واكرموه وحملوه الى صاحب قشتالة فعظّمه واكرمه وعلم ان به يصل الى ما يؤمّله من أخذ بلاد الاندلس.

ثم عاد ملك غرناطة الى الأمير ابي الحسن علي بن سعد، الاّ ان الفتنة لم تنقطع ولم تخمد نارها. وكان الأمير ابو الحسن قد اصابه مرض شبه الصرع واصيب في

بنصره واصابه خدر(١) في جسده، وعاقبه الله تعالى بانواع من البلاء. وعُزل عن الملك وحُمل الى مدينة المنكب(٢) فاقام بها حتى مات، واستولى على الملك بعده اخوه محمد ابن سعد ومع ذلك قد استطال العدو على بلاد الاندلس وقوي طمعه فيها.

استيلاء النصارى على حصن قرطمة (٣) وحصن دكوين (٤)

عـــام ٨٩٠

فلما كان شهر ربيع الآخر عام تسعين وثمانمائة خرج العدو بمحلته الى غربيّة الاندلس فقصد حصن قرطمة وحصن دكوين فقاتاهما حتى استولى عليهما، وفي السنة التي قبل هذه كان استولى على حصن المره(٥) وحصن الشيطنين (٦).

الاستيلاء على الرندة وضواحيها

عام ٨٩٠

وفي العشر الاوّل من جمادى الاولى من عام التاريخ المذكور قبـــل هذا، خرج

---

(١) مخط: ضرر :Cod

(٢) المنكّب Almonacar بلد في جنوب الاندلس من اعمال غرناطة كان لها شأن في عهد العرب

(٣) مخط: قرطبة :Cod

(٤) مخط: ذكوين، ذكوان :Cod

(٥) هكذا في الاصل، وربما يراد به حصن المرية Torre del Marre ومعناه برج المراقبة

(٦) مخط (٢): شبطين :Cod

العدو ايضاً بمحلته فقصد مدينة رنـدة فقاتلها قتالا شديـدا وقرب اليها انفاطه حتى هدم بعض اسوارها، فلما رأى اهلها ما لا طاقة لهم به طلبوا الامان وخرجوا مؤمّنين بما معهم. فلمـا استولى العدو على مدينة رندة دخلت تلك الجهات كلها في ذمته من غير قتـال.

موقعة المكلين وانتصار المسلمين وامتلاك الحصن
شعبان عام ٨٩٠

وفي التاسع عشر من شهر شعبان عام التاريخ المذكور خرج الأمير محمد ابن سعد باهل غرناطة الى حصن المكلين لبناء بعض اسواره لانـه بلغه ان العدو دمره الله خارج اليه، فخرج بجيشه وعامـة اهـل غرناطـة ليصلحوا من شأنه ماتهدّم، فبينما هم في الحصن اذ بلغهم ان العدو خارج يريد الحصن وهو متوجه نحوه، وظهر آخر النهار للمسلمين غبار محلة النصارى في ارض القلعة فلم يلتفت الأمير ولا وزيره لذلك ولـم يعملوا بحساب الحرب ولم يجعلوا بياتهم على البعد، فباتوا تلك الليلة مطمئنين وهي الليلة الثانية والعشرون من شعبان المذكور، فلم يشعر احد من المسلمين الآ والنصارى قد اختلطوا معهم عند الفجر وكذلك النصارى لم يشعروا بالمسلمين حتى اختلطوا معهم ايضاً وانما ادلجوا ليصبحوا على الحصن، فلما التقى الجمعان اعلنت الاصوات بالصياح والضجيج وضربت النصارى اطبالهم وزعقوا بالبوقـات ونصبوا الانفاط ووقع القتال بين الفريقين واشتدّ حتى وصل النصارى الى مضرب الأمير وارادوا اخذه فثبّت الله المسلمين وصبروا صبراً جميلاً ووقفوا على مضرب الأمير صابرين محتسبين لله تعالى، فلم تكن الآ هنيهات حتى هزم الله النصارى وولوا الادبار وتبعهم المسلمون يقتلونهم كيف شاءوا حتى قتلوا منهم خلقاً كثيراً، ثم قصروا في طلبهم مخافة ان يدركهم

جيش العدو لانهم كانوا مقبلين على المكلين يريدون قتال اهله واخذه وكان ذلك صدر المحلة قد اقبـــل بالعدة والانفاط والبـــارود والفؤوس وغير ذلك.

فاحتوى المسلمون على جميع ذلك كله وارتحلوا بقية يومهم راجعين الى غرناطة فرحين بنصر الله تعالى حامدين له شاكرين، فدخلوا غرناطة بقية النهار وكانت هذه الغزوة من الغزوات المشهورة.

*
* *

قال: المؤلف عفا الله عنه: فلقد حدثني بعض الفرسان النجباء من اهل الشجاعة والنجدة والاقدام في ذلك اليوم ونحن في الطريق راجعين الى غرناطة (١) قال: كنت في اول الفرسان ونحن نتبع النصارى فكنت اسبق الي بعض المواضع فاجد النصارى امامي مقتولين ولم ارَ احداً سبقني ولا ادري مـن قتلهم:»

فلما خيّب الله سعد (٢) العدو وكسر حدته عدل عن السير الى حص المكلين فاقام في حصن قنبيل الى شهر رمضان من العام المذكور. (٨٩٠)

استيلاء النصارى على حصن قنبيل وعلى ما جاوره من الحصون والقلاع عــام ٨٩٠

ثم توجه العدو نحو حصن قنبيل فنزل عليه بمحلته ونصب انفاطه وقاتله قتالاً شديداً حتى هدم بعض اسوار، فلما رأى المسلمون ما لا طاقة لهم به خافوا ان يدخل عليهم عنوة، فطلبوا منه الامان فخرجوا مؤمنين بما كان معهم وسلموا اليه الحصن.

---

(١) من هنا يُستدل على ان المؤلف قد حضر الموقعة وشاهد كل تلك الحوادث، فلروايته قيمة تاريخية لا يستهان بها وهو يرويها بكل سذاجة ونزاهة

(٢) مخط: سعي :Cod

فلما استولى العدو على الحصن المذكور اخلى المسلمون حصن أُرنية وحصن مشاقر (١) وحصن اللوز وصارت كلها للنصارى.

وفي هذا الشهر ايضا استولى العدو على حصن صالحة من حصون بلّش (٢) ثم ان العدو دمره الله سرّح الأمير ابا عبد الله محمد بـن علي الى بعض حصون الشرقية ووعده بالصلح ان اطاعه الشعب فقامت بدعوته تلك الحصون طمعاً بالصلح وبالبقاء في الحصون.

ثورة اهل ربض البيّازين ومبايعتهم الأمير محمد بن علي وحروبهم مع اهل غرناطة عـام ٨٩١

ثـم ان شياطين الانس صاروا يغوون الناس ويزيّنون لهم ويعدونهم ويطمعونهم في صلح النصارى الى ان مالت الى كلامهم طائفة من اهل ربض (٣) البيّازين مـن ارباض غرناطـة ووافقهم جـلُ اهل الربض طمعاً فـي الصلح لانهم كانوا سيّارة وبادية، فقاموا بدعوة الأمير محمد بن علي، فعنـد ذلك اشتعلت نـار الفتنة بين اهـل ربض البيّازين وبين غرناطة واميرها محمد بـن سعد، ووقع بينهم القتال والحرب ونصبوا على البيّازيـن الانفـاط ورجموهـم بالحجارة من سور القصبة القديمة ورموا عليهم بالمنجنيق، واهل ربض البيّازيـن يدافون عن انفسهم ويقاتلون وينتظرون قـدوم الأمير محمد بـن علي عليهم، وهـو مـع ذلك يرسل اليهم

(١) مخط: ما شقر Cod:

(٢) مخط: بلّيش Cod:

(٣) الارباض: جمع رَبَض وهو ما حول المدينة من بيوت ومساكن، خارج السور

من الشرقية ويعدهم بالقدوم عليهم وهم في قتال وحصار وشدّة مدة: من ثالث شهر ربيع الاوّل من عام واحد وتسعين وثمانمائة الى اليوم الخامس عشر لجمادى الاولى من عام التاريخ المذكور.

فبينما اهل ربض البيّازين ينتظرون قدوم الأمير محمد بن علي عليهم اذا به سار الى مدينة لَوْشَة، ووقع الصلح بينه وبين عمه الأمير محمد بن سعد أمير غرناطة في حينه على ان سلّم لعمه المذكور في المملكة على ان يكون هو من تحت يديه وارسل الى البيّازين بذلك وادخلهم في الصلح.

استيلاء النصارى على مدينة لَوْشَة ٢٦ جمادى الاولى عام ٨٩١ هـ.

فبينما المسلمون كذلك بين حرب وصلح اذ بصاحب قشتالة دمره الله قد اقبل بمحلته على مدينة لوشة، فنزلها الأمير محمد بن علي المذكور، فحاصرها العدو حصاراً شديداً ونصب عليها انفاطه وعدّته واقترب اليها بجيشه وآلة حربه حتى دخلوا ربضها وهدموا بعض اسوارها بالانفاط وقُتل كثير من نجدة الرجال واشتدّ عليهم الحصار، فلما رأى اهل لوشة ما لا طاقة لهم به من شدّة الحصار وكثرة جموع النصارى وتأخير اهل غرناطة عن نصرتهم طلبوا الامان واتفقوا على ان يخرجوا مؤمّنين باموالهم واولادهم وخيلهم وسلاحهم ودوابهم وجميع ما يقدرون على حمله، فاجابهم العدوّ لذلك ووفي لهم به، فاخذوا في اخلاء البلاد ووصلوا الى غرناطة بما معهم.

وكان استيلاء العدو على مدينة لَوْشَة في السادس والعشرين من جمادى الاولى من عام احدى وتسعين وثمانمائة.

ولم يسرّح صاحب قشتالة الأمير محمد بن علي بل حبسه عنده ليستأصل به بقيّة الاندلس.

استيلاء النصارى على البيرة وحصن المكلين وقلنبيرة
جمادى الآخرة عام ٨٩١ هـ.

فلما كان النصف الاول من جمادى الآخرة من عام التاريخ المذكور، خرج ملك الروم بمحلته دمره الله، فقصد حصن إلبيرة، فنزل عليه ونصب انفاطه وعدّته، فلما رأى (١) المحصورون مالا طاقة لهم به من شدة القتال والحصار طلبوا منه الامان على انفسهم وخيلهم ودوابهم واسلحتهم وجميع ما يقدرون على حمله من امتعتهم، فاجابهم الى ما طلبوه منه ووفى لهم به، فخرجوا واخلوا له الحصن وصاروا الى غرناطة.

ثم انتقل العدوّ الى حصن مكلين ايضاً فنزل عليهم بمحلّته وقرب منه بعدّته وانفاطه وقاتلهم قتالاً شديداً وهدم بعض الاسوار بالانفاط.

وكانت له انفاط يرمي بها صخوراً من نار فتصعد في الهواء (٢) وتنزل على الموضع وهي تشتعل ناراً فتهلك كل من نزلت عليه وتحرقه (٣) فكان ذلك من جملة ما كان يخذل به اهل المواضع التي كان ينزل عليها.

---

(١) مخط: رأوا :Cod.

(٢) في ترجمة مولّر: الهوى Cod. y trad.: Müller

que ha confundido الهوى con الهواء

El primero significa el amor, y aquí el autor quiere decir الهواء que significa el aire:

(٣) وللشيخ الحكيم ابي زكرياء بن هذيل قصيدة في وصف آلة النفط مطلعها:

بحيث البنود الحمر والاسد الوردُ | كتائب سكان السماء لها جندُ

ومنها في وصف الآلة:

وظنوا بأن الرعدَ والصعقَ في السما | مهندمةٌ تأتي الجبال فتنهدُّ
غرائبُ أشكال سما هرمسٌ بها | فحاق بهم من دونها الصعقُ والرعدُ
ألا إنها الدنيا تريك عجائباً | وما في الثرى فلا بد أن يبدو

فلما رأى اهـــل حصن مـكلين ما نزل بهم من البلاء وانه لا طاقة بهم به طلبوا الامان كما فعل اهل حصن البيرة وخرجوا مؤمّنين باموالهم ووفّي لهم بما طلبوه منه .

فلمّا سمع اهل حصون قلنبيرة ما حـــلّ بمن جاورهـم من الحصون خافوا على انفسهم فطلبوا من العدوّ دمره الله الأمان على انفسهم واموالهم وسلموا اليه الحصن من غير قتال .

ثم رحلوا الى غرناطة باموالهم وامتعتهم واولادهم وتوجّه العدو دمره الله الى منتفريد (١) فنصب عليه عدّته وانفاطه وقاتله قتالاً شديداً فلما رأى المدافعون (٢) ما لا طاقـــة لهم بـــه ولم تغن منعة الحصن شيئاً اذعنوا وطلبوا منه الامان مثل ما (٣) طلب اهـــل الحصون المتقدّمـــة فاجابهم الى ما طلبوه وخرجوا مؤمّنين بما معهم من الامتعة قاصدين مدينة غرناطة .

وكذلك اتفق ايضاً لاهل حصن الصّحة واستولى العدوّ في هذا الشهر على جميع الحصون وصارت بيده وقهر بها غرناطة وأخذ في بنائها وتحصينها وتمنيعها واصلاح شأنها وشحنها بجميع ما تحتاج اليه من طعام وعدّة ورجال وغير ذلك، ليضيّق على غرناطة .

خروج الأمير محمد بن علي الى الحصون الشرقيّة واستئناف القتال بين اهـــل ربض البيّازيـــن وغرناطـــة
شوال عام ٨٩١ ومحرّم عام ٨٩٢

ثم ان العدوّ ارتحل الى بلاده فبقي بها بعض اشهر وسرّح الأمير محمد ابن

---

(١) هـكذا في الاصل

(٢) : رأوا Trad.: Müller

(٣) مخط : مثل طلب Cod. y trad.: Müller

علي وامره بالخروج الى حصون الشرقية وذلك كيداً منه ومكراً ليعمل الحيلة على تلك الجهة، فخرج الأمير محمد الى حصن بلّش من حصون شرقية الاندلس، فقام بدعوته ودخله ثم جعل يكتب الى المواضع ويرسل الكتب ويعدهم بالصلح مع النصارى ان اطاعوه، فلم يقبل منه احد ولم يقم بدعوته فرد، وما زالت شياطين الفتنة توسوس الى ان وجدوا في ربض البيّازين من غرناطة طائفة من اهل الشر والفساد فقبلوا قولهم ووعدوهم ان يقوموا بدعوته ان كان له صلح مع النصارى واخفوا حديثهم ولم يظهروه لاحد.

ثم ان حصون الشرقية قامت بدعوته طمعاً في الصلح مع النصارى وبقي الأمير محمد بن علي يكتب الى المواضع والقرى والحصون ويخبرهم انه بصلح صليح (١) مع النصارى فلم يقبل منه احد بذلك.

فلما رأى ان اهل البلد لم يقبلوا منه اتفق رأيه ان يسير بخاصته الى ربض البيّازين، فأخذ من خاصته من يثق به وخرج عن حصون الشرقية قاصداً ربض البيّازين وغرناطة فدخل ربض البيّازين على حين غفلة من عمه محمد بن سعد أمير غرناطة ولم يشعر به احد حتى دخل واجتمعت معه تلك الطائفة المذكورة قبل وانضم (٢) اليه آخرون فاشتدت عصابته وغلظت شوكته وأمر مناديه ان ينادي: ان له صلحاً صحيحاً مع النصارى:» فقام اهل البيّازين بدعوته ولم يقبل اهل غرناطة منه ما ذكر من الصلح وقالوا انه ليس بصحيح!

فاشتعلت نار الفتنة بين اهل ربض البيّازين وبين اهل غرناطة واشتدّ ضرامها وبلغ العدوّ دمره الله ما أمّله ليقضي الله امراً كان مفعولاً.

وكان دخول الأمير محمد بن علي ربض البيّازين في السادس عشر لشوال عام احدى وتسعين وثمانمائة، فتعصب اهل غرناطة مع أميرهم محمد بن سعد على اهل

---

(١) هكذا في الاصل والصواب: صحيح

(٢) مخط: انضاف :.Cod

البيّازين وتعصب اهل البيّازين مع أميرهم محمد بن علي على اهل غرناطة ووقع الحرب والقتال بينهم وصار يقتل بعضهم بعضاً وينهب بعضهم مال بعض الآخر.

ثم ان العدوّ دمره الله امدّ أمير البيّازين بالرجال والانفاط والبارود والقمح والعلف والبهائم والذهب والفضة وغير ذلك ليشدّ به عضد الفتنة ويقوي الشر، ولم تزل الحرب متصلة بين الفريقين.

فلمّا كان اليوم السابع والعشرون من محرّم عام اثنين وتسعين عزم أمير غرناطة ان يدخل ربض البيّازين عنوة بالسيف: فندب اهل غرناطة وغيرهم من احوازها وقال لهم: ان هؤلاء القوم قد حلّت دماؤهم واموالهم لنصرتهم بالنصارى فمالهم الاّ السيف» وندب اهل بسطة (١) واهل وادي آش (٢) ومن حولهم وامرهم بالهبوط على طريق الفرغ (٣) والدخول على باب فج اللبوة (٤) في ذلك اليوم، وفتح اهل غرناطة باب الحديد (٥) وباب انيدر، (٦) وباب قشتر (٧) ونقبة باب البنود، وباب البنود (٨) ونقبة ربض البيضا، (٩) وباب الدفاف. (١٠)

---

(١) Baza (٢) Guadix (٣) Camino del Fargue

(٤) فج اللبوة: او فج اللوزة

Bab fax al-Labua: La puerta de Albaicín que llaman: fex el Leuz: puerta de faxal-auza (Ed.: Müller.)

(٥) باب الحديد Babul-hadid (Puerta de hierro) هو باب يصل بـ: Torre de los picos

(٦) باب انيدر Bab-onoida

Bab-oneider (que quiere decir, Puerta de las Eras): Hr. Simonet: Reino de Granada: Bab bonaida o de la banderola. Sr. Seco de Lucena: El arco de Bibaldonáida o Puerta de la Banderola.

وهنا التباس عند المؤرخين: بين باب البنود وباب انيدر

(٧) باب قشتر: Cástaras

(٨) باب البنود: Bib-el bonut (Puerta de los Estandartes

(٩) ربض البيضا. (Rabad-Albaida) Plaza de Albayda

(١٠) باب الدفاف Puerta de Madera وان اكثر هذه الاماكن قد بادت اليوم ولم يبقَ منها الاّ الرسوم الدوارس

فخرجت عليه طائفة وطامت على الوادي فدخلت باب الشميس، (١) ودخلت كل طائفة على جهتها وذلك كله في ساعة واحدة.
فلطف الله تعالى باهل البيازين، فخرج لكل جهة من هذه الجهات طائفة منهم فدفعوهم وقاتلوهم وردوهم على اعقابهم منهزمين، فدخلوا بلدهم وسدّوا ابوابهم وبنوا نقبهم، ولم تزل الحرب متصلة بين الفريقين، والعدوّ دمره الله يدبر الحيلة عليهم.

نزول ملك قشتالة في ضواحي مدينة بلّش واحتلا لها بدون قتال ربيع الثاني عام ٨٩٢

فلمّا كان النصف من شهر ربيع الثاني عام اثنين وتسعين وثمانمائة خرج الطاغية بمحلته الى ارض المسلمين قاصداً مدينة بلّش مالقة (٢) وكانت على ذمّة أمير غرناطة فنزلها.
فلمّا سمع أمير غرناطة بنزوله على مدينة بلّش ندب اهل غرناطة ومن اطاعه من اهل تلك الجهات وترك طائفة تقاتل اهل البيازين وخرج يريد نصرة اهل بلّش، وذلك يوم السبت الرابع والعشرين لربيع الثاني من عام التاريخ المذكور قبل، فلمّا سار قريباً منها وجد العدوّ قد سبقه بالنزول عليها ودار بها من كل الجهات، فقصد الأمير حصن منتميش (٣) فنزله بمحلته واقام به بعض الايام فطلبه الناس ان يسير بهم نحو العدوّ فتوجه بهم اليه، فرتبهم وكان ذلك عشية النهار فدخل عليهم الليل بالطريق.

---

(١) برج الشميس: Torre de Alxamis

(٢) Vélez Málaga

(٣) مخط: منتميس Castillo de Bentomiz. Cod.:

فبينما هم سائرون اذ قامت كرّة ودهشة (١) فانهزموا في ظلام الليل من غير لقاء عدوّ ولا قتال، فرجعوا منهزمين مفاولين الى محلتهم فباتوا ليلتهم تلك، وفي الغد اتاهم الخبر ان العدوّ استخلص مدينة بلّش، فسقط في ايديهم وانهزموا مـن غير قتال ورجع كل واحد منهم الى وطنه.

غرناطه تقوم بدعوة الأمير محمد بن علي
جمادى الاولى عام ٨٩٢

فبينما الأمير محمد بـن سعد في طريقه الى غرناطة خُبّر ان غرناطة قد قامت بدعوة ابن اخيه محمد بن علي ودخل البلد وملكه وقتل القوّاد الذين كانوا بالبلد يقاتلونه، فلما سمع الأمير محمد بن سعد ذلك رجع على عقبه يريد البُشرّة فسار من هنالك الى وادي آش، فدخلها بمن معه.

وكان قيام اهل غرناطة بدعوة البيّازين وأميرهم محمد بن علي يوم الاحد الخامس مـن جمادى الاولى عام التاريخ المذكور قبل، فدخل البلد ونزل في القصبة القديمة. (٢)

واستولى العدوّ دمره الله على مدينة بلّش يـوم الجمعة العاشر مـن جمادى الاولى عام اثنين وتسعين وثمانمائـة،

ولما استولى العدوّ دمّره الله على مـدينة بلّش دخلت في ذمّتـه جميع القرى

(١) الكرّة: الحملة في الحرب والدهشة الحيرة، وهنا يقصد بعض عوامـل الطبيعة كزلزال او زوبعة او احدى الانفعالات التي احدثت تلك الحيرة والدهشة

(٢) القصبة بعرف المغاربة والاندلسيين هي القلعة المحصنة في اعالي البلد (حصن)

التي تلي بلّش وقرى جبل منتنميش وحصن قمارش (١) وخرج اهل بلّش من بلدهم مؤمّنين وحملوا ما قدروا عليه، وذلك بعد قتال شديـد وحرب عظيم، فمنهم من جوّزه العدو الى ارض العُدوة ومنهم من اقام في بعض تلك القرى ومنهم من سار الى ارض المسلميـن التي بقيت بالاندلس.

حصار مدينة مالقة ودفاعها العظيم
شعبان عام ٨٩٢ هـ.

فلمّا استخلص العدوّ مـدينة بلّش سار بمحلّته نحو مدينة مالقة فنزل عليها وقاتلها قتالاً شديداً وحاصرها حصاراً عظيماً لم يرَ مثله واحاط بها من كل جانب ومكان براً وبحراً فتحصن اهل مالقة ببلدهم واظهروا ما كان عندهم ومعهم من السلاح والعدّة والانفاط وكان فيهم جملة من نجدة الفرسان فقاتلوا الروم قتالاً شديداً وقتلوا منهم خلقاً كثيراً حتى انه قتل من الروم في يوم واحد اثنا عشر الفاً وسبعمائة، ومع ذلك بقي العدوّ يفتح عليهم ابواباً مـن الحرب والحِيَل والمسلمون قائمون بحراسة بلدهم ويغلبون عدوّهم ويقتلون من قرب اليهم منهم وهم صابرون محتسبون مدّة طويلة حتى ضيّق عليهم العدوّ ودوّر بالمدينة سوراً من تراب وسوراً من خشب وحفيراً مانعاً ومنع عليهم الداخـل والخارج في البر ومنع عليهم في البحر بالمراكب من الداخل والخارج وشدّ عليهم في الحصار والقتال وهم مع ذلك صابرون محتسبون يقاتلون اشدّ القتال ولا يظهرون جزعـاً ولا هلعاً ولا يطمعون العدوّ في شيء مما يرومه منهم حتى نفذ ما عندهم من الاطعمة والزاد واكلوا ما كان عندهم من المواشي من خيل وبغال وحمير وكلاب وجلود وورق الشجر وغير ذلك

(١) حصن قمارش: Castillo de Comares

من الاشياء التي يمكن اكلها حتى فني ذلك كله واثّر فيهم الجوع اثراً عظيماً ومات كثير من نجدة رجالهم الذين كانوا يوالون الحرب والقتال، فحينئذ اذعنوا وطلبوا الامان فاحتال عليهم العدوّ حتى دخل البلد بمكر ومكيدة واسرهم كلهم وسبى نساءهم واولادهم واحتوى على جميع اموالهم وفرّقهم على اهل دخلته وقواده وكان مصابهم مصاباً عظيماً تحزن له القلوب وتذهل له النفوس وتذوب وتبكي مصابهم العيون بالدماء. افانا لله وانا اليه راجعون!

وكان استيلاء العدوّ على مدينة مالقة في او اخر شعبان عام اثنين وتسعين وثمانمائة.

فحين خلصت للعدوّ دمّره الله مدينة مالقة وبلّش وجميع الغربيّة ولم يبقَ في تلك النواحي للسلمين موضع واحد ارتحل الطاغية الى بلده من قشتالة.

وفي سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة خرج العدوّ نحو حصون الشرقيّة وكانت في صلحه فاستولى على تلك الحصون كلها غدراً ومكراً من غير قتال ولا حصار ولا تعب وصارت جميع حصون الشرقيّة في قبضته وتحت ايالته ثم رجع الي بلاده من قشتالة.

حصار مدينة بسطة

رجب، شعبان، رمضان، شوال، ذو الحجة وذو القعدة من عام ٨٩٤

وفي شهر رجب من سنة اربع وتسعين وثمانمائة خرج العدوّ دمره الله بمحلّته وقصد نحو حصن مُوجَر (١) فحاصره وقاتله قتالاً شديداً اياماً قلائل فاستولى

---

(١) حصن مُوجَر Castillo de Mújar ومن مؤرخي الاسبان من يضبطها بالسين: سوجر و شوجر: Sújar

عليه واستولى ايضاً على الحصون القريبة منه ومن مدينة بسطة، وقصد مدينة بسطة ايضاً فنزل قريباً منها فوجد بلداً مقيماً بالخيل والرجال والعدّة والطعام، فكلما قرب من البلد واراد قتال المسلمين رجع خائباً خاسراً وقُتِلَ منه خلقاً كثيراً، ولم يقدر ان يمنع داخلها وخارجها احد كما فعل بغيرها من المدن، وكان يدخلها كل من جاءها من نجدة الفرسان والرجال، فبقي محاذياً لها شهر رجب وشعبان ورمضان والمسلمون قائمون ببلدهم غالبون لعدوهم، فكلما اراد الدنو من البلد قمعوه وردوه على عقبه خائباً خاسراً، ولم يقدر على نصب نفط ولا عدّة من آلة الحرب.

فلمّا كان شهر شوال شدّ عليهم الحصار وعمل على البلد سوراً من خشب وحفيراً عظيماً وجعل على ذلك الرجال والحرس لئلاّ يدخل داخله من انجاد الرجال اليهم الذين يأتون لنصرتهم واعانتهم على عدوهم ولا من يجلب لهم الطعام، فلم يعبأ المسلمون بما صنع بل كانوا يخرجون من النقب ويهبطون من على الاسوار ويقتلونهم في محلتهم وفي كل مسلك يسلكونه حتى قتلوا منهم خلقاً كثيراً وكانوا يحملون المسلمين الواردين عليهم لنصرتهم بما يحتاجون اليه من الطعام، فبقوا على هذه الحالة من شدة الحصار شهر شوال وذا القعدة وذا الحجة، وفي آخر ذي الحجة من عام التاريخ تفقّد اعيان البلد ما بقي في بلدهم من الطعام وذلك في خفية من العامّة فلم يجدوا الا ما يقام به اياماً قلائل، فبعثوا لملك الروم وطلبوا منه الامان على شروط اشترطوها عليه فوجدوه راغباً في ذلك فجعلوا بينهم هدنة والكلام يتردد بينهم في خفية من العامّة فاجابهم بجميع ما طلبوه منه.

فلمّا كان يوم الجمعة عاشر محرم الحرام فاتح عام خمسة وتسعين وثمانمائة ادخل قوّاد البلاد جمعاً من النصارى للقصبة على حين غفلة من العامّة فملكوا القصبة وقهروا من كان بالبلد من العامّة وغيرهم وسقط في ايديهم، ثم انهم سرّحوا من كان عندهم من انجاد الرجال والفرسان الذين كانوا عندهم يعينونهم على نصرة

عدوّهم فخرجوا مؤمّنين بخيلهم واسلحتهم وامتعتهم كما شرط عليه قوّاد البلد فساروا الى مدينــة وادي آش واخلوا البلــد للنصارى وخرجــوا الى الاربــاض بما معهم من اموالهم وامتعتهم مؤمّنين ولم يتركوا شيئاً الأسقف المدينة خاصة .

ثم ان ملك الروم دمره الله جعل في البلد قائداً من قوّاده حاكماً ورتبه واشحنه بما يحتاج اليه من اطعمة وزاد وآلة حرب وارتحل من مدينة بسطة يريد المريّة (١) فلم يمر على حصن ولا على قرية الاّ ودخل اهلها في ذمّته وتحت طاعته من غير حصار ولا قتال .

الأمير محمد بن سعد يبايع ملك قشتالة ويساعده مع قوّاده لتطويع ما بقي من بلاد المسلمين صفر عام ٨٩٥

ثم خرج الأمير محمد بن سعد من مدينة وادي آش تابعاً لصاحب قشتالة، فلمّا لحقه بايعه ودخل في ذمّته وتحت طاعتة على ان يعطيه مدينة وادي آش وكل مدينة وحصن وقرية كانت تحت طاعته وحكمه، فاجابه الى مطلبه ورجع معه الى وادي آش وهو فرح مسرور، فدخل العدوّ وقبض قصبتها واستولى عليها في العشر الاول من شهر صفر عام خمسة وتسعين وثمانمائة ودخل في ذمّته جميع فرسان الأمير محمد ابن سعد وجميع قوّاده وصاروا لــه عوناً على المسلمين وطوّعوا له جميع البلاد والقرى والحصون التي كانت تحت طاعتهم من مدينة المريّة الى مدينة المنكّب، ومن مدينة المنكّب الى قرية البذول (٢) فقبض صاحب قشتالة ذلك كله من غير قتال ولا حصار ولا

---

(١) المريّة Almería

(٢) قرية البذول :Padul

تعب ولا نصب افانا لله وانا اليه راجعون! وجعل في كل قصبة قائداً نصرانياً مع جماعة من النصارى يحكم في ذلك الموضع.

وفي هذا الشهر خلصت جميع بلاد الاندلس لصاحب قشتالة ودخلت تحت طاعته وتدجّن جميع اهلها ولم يبقَ للمسلمين في الاندلس غير مدينة غرناطة وما حولها من القرى خاصّة.

وزعم كثير من الناس ان الأمير محمد بن سعد وقوّاده باعوا من صاحب قشتالة هذه القرى والبلاد التي كانت تحت طاعتهم وقبضوا منه ثمنها وذلك على وجه الفرصة والانتقام من ولد اخيه الأمير محمد بن علي وقوّاده لانهم كانوا في غرناطة ولم يكن تحت طاعتهم غيرها وكان في صلح العدوّ فاراد بذلك قطع علائق غرناطة لتهلك كما هلك غيرها.

ملك قشتالة ينقض معاهدة الصلح ويشهر الحرب على أمير غرناطة ويستولي على برج الملاحة (١) وبرج همدان (٢)

فلما صارت هذه البلاد كلها تحت ذمّة العدوّ ولم يبقَ لصاحب قشتالة سوى غرناطة التي هي في صلحه ورأى ان الاسلام قد دثر من بلاد الاندلس وقع طمعه ونقض ما كان بينه وبين صاحب غرناطة محمد بن علي من الصلح، فأخذ برج ملاحة غرناطة وبرج قرية همدان (٣). وكانا برجين كبيرين حصينين فزادهما تحصيناً وتمنيعاً

(١) برج الملاحة: Torre Saline (Almalaha)

(٢) برج همدان (Hamdán) Torre de Al hendin

(٣) مخط: همذان Cod.

واشحنهما بالرجال وما يحتاج اليه مـن آلة الحرب ليضيّق على اهـل غرناطة لانهم كانوا قريبين منهما، فضيّق بذلك عليهم اشدّ الضيق.

وفي هـذه السنة وهي سنة خمس وتسعين وثمانمائـة بعث ملك النصارى الى صاحب غرناطـة محمد بـن علي على ان يعطيه مدينة الحمراء وما قطع الوادي لجهة الحمراء مـن غرناطة، ويترك للأمير المذكور محمد بن علي سائر البلد والدخول في ذمّته كما دخلها سائر الاندلس وبعض ذلك يتم له، فاطمعه الأمير محمد بن علي في ذلك، فخرج صاحب قشتالة فرحاً مسروراً بمحلته لقبض مدينة الحمراء وغرناطة وللنزهة فيهما وخرج معه الصبيان والنساء بقصد النزهة ولم يظنّ ان في مدينة غرناطة مدافعاً ولا مقاتلاً ولا معانـداً.

فلمّا بلغ الخبر اهـل غرناطة بخروج صاحب قشتالة وانـه قادم عليهم حسبما ذكر جمع أمير غرناطة محمد بن علي خاصتهم وعامّتهم واخبرهـم بمراد طاغية النصارى وما طاب، وما خروجـه الآ ليدخل البلد على الصفة المذكورة واستشارهم في ذلك: فاجمعوا امرهـم كلهم على قتالـه ومدافعته عنهم بما امكن حتى يفتح الله عليهم اويهلكوا عـن آخرهـم، وتعاهـدوا مـع أميرهم ان يكونوا يداً واحدة على قتال عدوّهم.

فبلغ ملك النصارى مقالتهم وما اتفقوا عليه فساءه ذلك وغمه فجمع جميع جيوشه ونزل بمحلته مرج غرناطـة وجعل يقطع الطرق ويفسد الزرع وغيره، فخرج اليه فرسان المسلمين من اهل غرناطة يتقدمهم القوّاد، وبرز الأمير محمد بن علي مع الرجال قريباً من البلد وقلوبهم واثقة بالله يسألون من الله سبحانه وتعالى النصر والمعونة على عدوّهم.

وخرج مع ملك الروم في محلته جماعة من المرتدّين الداخلين في ذمّته من اهل الحصون والقرى والمدن يدلونه على عورات المسلمين ويحرضونه على قتالهم، وكان

خروج الروم في اول رجب من سنة التاريخ، فكان كلما اراد الدنو من البلد وفتح الحرب باباً ردهم الله على اعقابهم مهزومين مفلولين بنصر الله ومعونته، وفرسان المسلمين صابرون محتسبون حتى قتلوا من الروم خلقاً كثيراً، فلما تبين لملك الروم انه لا طاقة له بالدنو من غرناطة وان بها حماة من الفرسان والرجال منعوها من كل جهة ومكان وايدهم الله بعزيز نصره ولم يتركوه ان يجد فيها فرصة، ارتحل عنها يعض انامله من الغيظ.

وذلك كان في النصف من شهر رجب عام تاريخه، وهدم برج عويو (١) وزاد اشحاناً لبرج همدان من المرتدين اهل القرية وشرذمة اخرى من النصارى وشيئاً كثيراً من الطعام والعدة وآلة الحرب وعمر ايضاً برج الملاحة وشحنه بمثل ذلك، ورحل الى بلاده من قشتالة.

انتصار المسلمين واستيلاءهم على قرى اقليم البُشرّة واسترجاعهم قرية البذول عام ٨٩٥

وبعد ارتحال العدو بايام قلائل خرج اهل غرناطة مع أميرهم محمد بن علي الى قرية البذول وقاتلوا من بها من النصارى والمرتدين حتى فتحها الله تعالى ودخلوها عنوةً، وفتح الله ذلك الاقليم كله ودخل في ذمّة المسلمين، فرجع اهل غرناطة الى بلادهم فرحين مستبشرين بنصر الله تعالى.

فبعد وصولهم وردت عليهم ارسال من قبل قرى البُشرّة يطلبون من الأمير محمد بن علي ان يقدم عليهم بجيش المسلمين ليدخلوا في ذمّته، فخرج اليهم من غرناطة

(١) عويو: Torre de Gavia la grande (Gavia)

في بقيّة رجب المذكور وبجماعة من المسلمين من اهل غرناطة فقصد الانجرون (١) من قرى البُشرّة فنزل هنالك وانجلى من كان هنا لك من النصارى والمرتدّين الى حصن اندراش. (٢)

ودخلت تلك الجهات كلها في ذمّة المسلمين ورجع الأمير محمد بن علي بمن معه الى غرناطة فرحين مستبشرين بنصر الله، وترك الأمير وزيره بجماعة من انجاد الفرسان ليقاتل بهم من بقى هنالك من النصارى والمرتدّين.

فرار الأمير محمد بن سعد الى المريّة ودخول فرسان غرناطة حصن اندراش واسترجاعهم بقية الجهات التي كانت بيد النصارى

فلمّا كان شهر شعبان من سنة التاريخ المذكور بعث الوزير من البُشرّة الى الأمير بغرناطة يعلمه ان هذه الجهات التي بقيت مع النصارى بعثوا اليه يطلبون ان يقدم عليهم الأمير محمد بن علي ليدخلوا في ذمّته، فخرج الأمير على احسن اهبة في نجدة فرسان اهل غرناطة وخرج بهم في العشر الاوّل من شعبان عام التاريخ يريد البُشرّة (٣) فقصد حصن اندراش وكان به الأمير محمد بن سعد وجماعة من المرتدّين، فلما سمع بقدوم الأمير محمد بن علي بجيش اهل غرناطة خرج بمن معه من المرتدّين هارباً مهزوماً الى مدينة المريّة، ورجع كثير ممن كان معه من المسلمين ودخل أمير

(١) الانجرون، ولانجرون Lanjarón: بلدة على مقربة من غرناطة مشهورة بالمياه المعدنية يقصدها اعلاّء الكبد

(٢) مخط: اندرش Andarax. Cod: (Andrax)

(٣) البُشرّة: Alpuxarra: (Alpujarra)

غرناطة بمحلته حصن اندراش واسترجعت تلك الجهات كلها الى الاسلام كما كانت اولاً من غير حرب ولا قتال.

وقد سمع من كان ببُرجة (١) ودليد (٢) بذلك فهربوا. ورجعت تلك الجهات كلها الى المسلمين، فرتب الأمير محمد بن علي هنالك قوّاداً وفرساناً وارتحل نحو غرناطة، فدخلها في النصف من شعبان عام خمسة وتسعين وثمانمائة بمن معه من جيش المسلمين وعامّتهم فرحين مستبشرين بنصر الله تعالى وتأييده.

استئناف الحرب وحصار المسلمين لقرية همدان وضرب برجها وأخذها عنوةً رمضان عام ٨٩٥

فلما كان العشر الاوّل من رمضان عام التاريخ اتت طائفة من النصارى والمرتدّين تغلبوا على حصن اندراش فملكوه وفرّ منه من كان به من فرسان المسلمين لانهم كانوا شرذمة قليلة واتاهم مالا طاقة لهم عليه.

وفي السادس من شهر رمضان عام التاريخ خرج ملك غرناطة بمحلّته نحو قرية همدان يريد فتحها، وامر باخراج العدّة وآلة الحرب، وكان بالقرية المذكورة جماعة من فرسان النصارى دمرهم الله والمرتدّين من اهل القرية وكان النصارى قد بنوا حول برجها بنياناً عظيماً منيعاً بانواع من بناء الحرب وخدعه وحصّن برجها تحصيناً عظيماً واشحنه بكثير من الاطعمة وآلة الحرب والمنعة المنيعة ليظهر لمن رآه ان لا طاقة لاحد بأخذه لما يراه من تشييد بنائه وتحصينه

(١) بُرجة: Berja

(٢) دليد ومن المؤرخين من يكتبها دلاية ودليّة وهي عند الاسبان: Dalias

وتشعب اسوارهم ظناً منهم ان اهل غرناطة لا طاقة لهم بأخذه ولا لهم قوة لفتحه.

فحين نزل اهل غرناطة مع أميرهم محمد بن علي بقرية همدان تحصّن من بها من النصارى والمرتدّين بحصنهم ودارت بهم جيوش المسلمين من كل جانب بالقتال الشديد حتى قربوا السور الاول، فجعلت كل طائفة من المسلمين نقباً حتى دخلوا معهم في الحزام الاوّل ثم في الحزام الثاني ثم في الحزام الثالث(١) حتى الجؤهم الى داخل البرج ذلك بعد محاربة عديدة وقتال شديد استشهد فيه جماعة من المسلمين رحمهم الله.

وحين وصل المسلمون الى اصل البرج اخذوا في نقبه فجعلوا ينقبون ويدعمون بالخشب الى ان نقبوا فيه نقباً كثيرة، فلما علم مَن في البرج ان النقب قد كثر خافوا من هدمه عليهم فيهلكون، فسلّموا البرج واذعنوا للأسر فاسروا عن آخرهم ومن معهم من المرتدّين، واحتوى المسلمون على ما كان في البرج من الطعام والعدّة والاموال ونحو مائة وثمانين اسيراً.

ثم اقبل الأمير بمحلّته راجعاً الى غرناطة في اليوم الحادى عشر لرمضان المعظّم عام التاريخ وفرح المسلمون بما مَنَّ الله وفتح عليهم فرحاً شديداً، فاقام الأمير بها الى السادس عشر (٢) من رمضان المذكور من عام التاريخ.

حصار حصن الشلوبانية والرجوع عنه

نادى منادي أمير غرناطة في كافة اهل غرناطة من خاص وعام كبيرهم وصغيرهم يأمرهم بالاستعداد والخروج الى مدينة المنكّب يريد فتحها، فخرج بعد صلاة الجمعة من

(١) الحزام: ما يشدّ به وسط الدابة، ويقال: أخذ حزام الطريق: اي وسطه ومحجّته، وهنا يراد بالحزام الاوّل والحزام الثاني الخ: خطوط الدفاع والتحكيم

(٢) هكذا في الاصل، وفي ترجمة مولّر: الثامن عشر

ذلك اليوم بمحلته، فجاز على قرية البذول فامر بهدم برجها ثم سار نحو الساحل فاجتاز حصن شلوبانية (١) فتحصن من بها من النصارى والمرتدّين بحصنهم وقاتلوا المسلمين فرجعت اليهم جموع المسلمين وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى دخلوا عليهم الحصن والجؤهم الى القصبة فتحصنوا بهـا ودار بهم المسلمون من كل جانب ومنعوا عليهم الماء وضيقوا عليهم في الحصار حتى اكلوا الخيل والدواب من شدة ما لحقهم من الجوع فاقام عليهم المسلمون بقية رمضان وهم طامعون في فتح الحصن واذا بخبر قد جاء الى الأمير: انطاغية الروم خارج بمحلّته نحوهم يريد غرناطة» فأمر الامير عند ذلك بالارتحال والسير الى غرناطة خوفاً من ان يسبقه العدوّ اليها.

فقدم المسلمون الى غرناطة في ثالث شوال عام التاريخ فاقاموا بها نحو ثلاثة ايام او اربعة واذا بملك النصارى قد اقبل بمحلته ونزل مرج غرناطة ومعه طائفة من المرتدّين والمدّجنين يدلونه على عورات المسلمين ويعينونه عليهم فجعلوا يقطعوا الذرة والكرمات والمسلمون على قلّتهم وضعفهم صابرون على القتال محتسبون لله تعالى ويقتلون مـن الكفّار خلقاً كثيراً حتى منعوهم من فساد كثير من الذُرة والكرمات التي بالفحص، فاقام العدوّ نازلاً عليهم نحو ثمانية ايام وأمر بعد ذلك باخلاء برج الملاحة وبرج رُومة (٢) وبرج مرتين (٣) وقرنية (٤) وهدمهم وارتحل يريد بلاد قشتالة، فمرّ في سيره على برج اللوزات (٥) فأمر بهدمه ثم انطلق الى مدينة آش فاخرج من كان بها من المدّجنين

---

(١) حصن الشلوبانية Torre de Salobreña

(٢) برج رُومة Torre de Roma

(٣) Torre Martín

(٤) Torre (Karniat)

(٥) Castillo de Al-laûzat

ولم يبقَ بها ولا في ارباضها احد منهم، فخرجوا من مدينتهم اذلّة صاغرين فتفرقوا على القرى.

وقد أمر ايضاً بهدم قصبة اندراش وحصن المدوّر(١) وتفلّل اولائك المرتدّون الذين كانوا بها، ولم يبقَ لأميرهم محمد بن سعد عند صاحب قشتالة جاه ولا حظوة. فمنهم من جاز مع الأمير الى عدوة وهران ومنهم من رجع الى بلاد المسلمين ومنهم من اقام مع النصارى. ثم ارتحل ملك الروم الى داخل بلاده لامرمهم حدث له هنالك.

وفي اواخر شوال من العام المذكور تغلّب المسلمون على اندراش وما يليها ودخلت في ذمّة المسلمين.

حصار حصن مرشانة وانتصار المسلمين

صار المسلمون الى حصن مرشانة فحاصروا من به من النصارى وقاتلوهم حتى نزلوا الأسر واسترجعت تلك المواضع والجهات للمسلمين.

ثورة اهل قرية فنيانة ونزوح سكان قرى سَند وادي آش الى غرناطة

فلما رأى اهل قرية فنيانة استرجاع من جاورهم للاسلام ارادوا القيام على من في قصبتها من النصارى، فخادعهم النصارى بالكلام وبعثوا الى صاحب وادي آش فقدم عليهم بمن معه من النصارى فاحاط بقريتهم من كل جانب ومكان وقاتلوهم قتالاً شديداً ودخلوا عليهم القرية وهبط من كان في القصبة من النصارى وقتلوا

---

(١) Castillo Almodóvar (Mudauar) وهو حصن قرب اندرش، ويطلق الاسبان هذا الاسم على كل حصن او برج مدوّر ومحصن Plaza Rondada fortificada

كثيراً من رجال المسلمين واستولى النصارى على جميع ما كان بالقرية من الرجال والصبيان والنساء والامتعة والاموال وصاروا الى داخل بلادهم مسرورين، فلما رأى اهل قرى سَند وادي آش ما اتفق لاهل قرية فنيانة (١) خافوا ان يتفق لهم كذلك فبعثوا الى أمير غرناطة يستنصرونه ويطلبون منه ان يسير اليهم باهل غرناطة ودوابهم فيرفعون ما معهم من الامتعة والاموال والزرع وغير ذلك.

فخرج اليهم أمير غرناطة باهل البلد في الثالث عشر لذي القعدة عام التاريخ يريد نصرتهم ورفعهم من قراهم، فنزل بقرية وانجر (٢) فاقام بها بعض الايام ثم ارتحل منها الى قرية شريش (٣) من قرى سَند وادي آش فنزل هنالك واقام بها نحو ثمانية ايام وبعث بطلب دواب غرناطة وما يليها من القرى، وصاروا ينقلون الزرع من قرى وادي آش ويحملونه الى غرناطة، فحملوا منها زرعاً كثيراً الى غرناطة ووانجر، وأمر الأمير محمد بن علي باخلاء تلك القرى وارتحالهم عن آخرهم باهلهم ونسائهم وصبيانهم وما قدروا على حمله من اموالهم وزرعهم ومواشيهم، وكان في تلك القرى من القمح والشعير والذُرة شيء كثير لا يطاق حمله ولا يأتى على وصفه.

فلمّا بلغ الأمير محمد بن علي ان النصارى دمرهم الله قد جمعوا له جموعاً كثيرة فارتحل من قرية شريش راجعاً الى قرية وانجر ثم دخل غرناطة آخر النهار في الثالث والعشرين لذي القعدة من عام التاريخ.

ثم ان النصارى دمَّرهم الله لما رأوا ان اهل تلك القرى قد فرّوا بانفسهم الى ارض المسلمين واخلوا قراهم اظهروا لهم الامان وقالوا لهم: من رجع الى قريته فهو آمنٌ:»

---

(١) مخط: فنيالة وهي بالاسبانيّة: Fiñana .

(٢) وانجر ووانجر: Güéjar ويقال لها اليوم: Güéjar-Sierra

(٣) ويقال لها: شريش المقابلة اي المقابلة لبلاد العُدوة Jerez de la Frontera

فرجع كثير منهم الى قراهم وركنوا الى قول النصارى ودخلوا في ذمتهم ولم يزالوا يرجعون الى مواضعهم حتى لم يبقَ منهم في ارض المسلمين الاّ القليل.

رجوع ملك قشتالة الى ارض المسلمين واستئناف القتال جمادى الآخرة عام ٨٩٦

وفي الثاني عشر من جمادى الآخرة عام ستة وتسعين وثمانمائة خرج ملك قشتالة بمحلّته الى حصن غرناطة وكان ذلك بموافقة العشر الآخر من شهر ابريل العجمي والزرع اخضر، فافسد زرعها ودوّخ ارضها وهدم قراها ثم سار الى قرى الاقليم (١) فافسد زرعها وهدم قراها وقتل اناسها وأسر آخرين وعاد الى حصن غرناطة.

حصار غرناطة

رجع ملك قشتالة الى حصن غرناطة ونزل بمحلّته بقرية عَتْقَة (٢) ثم شرع في البناء فبنى هنالك سوراً كبيراً في ايام قلائل وسمّاه شنتفي (٣) وصار يهدم القرى ويأخذ ما فيها من آلة البناء ويجعله على العجل ويحمله الى ذلك البلد الذي بناه ويبني به وهو مع ذلك يقاتل المسلمين ويقاتلونه قتالاً شديداً، وحارب ملك الروم ايضاً ابراج القرى.

---

(١) قرى الاقليم Los pueblos en El valle de Lecrim

(٢) Vega : وهي اليوم قرية صغيرة لا يتجاوز عدد سكانها الخمساية، كما انه يوجد بهذ الاسم في اسبانيا انهر وقرى عديدة في مقاطعة ليون وفي المقاطعات الاندلسية

(٣) Santa Fé : قرية قرب غرناطة يحيط بها سهول واسعة ومياه متدفقة وهي شبيهة بقرية عميق من البقاع الشامي

الدائرة بغرناطة واخذها ولم يبقَ الاّ قرية الفخار(١) فلم يزل يلح عليها ويجلب عليها بخيله ورجله ويطمع ان يجد فرصة، فلم يقدر على شيء. حتى قتل لــه عليها خلق كثير من الروم ووقعت عليها ملاحم كثيرة بين المسلمين والنصارى لان المسلمين كانوا يلحّون حمايتها خوفاً ان يملكها الروم فتكون سبباً في اخلاء قرى الجبل وحصار البلد.

فلم يزالوا يدافعون عنها ويقاتلون مَن قصدها حتى قصّر عنها العدوّ لكثرة ما قتل عليها من خيل ورجال، ولم تزل الحرب متصلة بين المسلمين والنصارى كل يوم تارةً في ارض الفخار وتارةً في ارض بُليانة (٢) وتارةً في ارض رسانة (٣) وتارةً في ارض طفير (٤) وتارةً في ارض يغمور (٥) وتارةً في ارض الجدوى (٦) وتارةً في ارض رملة أَفَلُوم (٧) وتارةً في ارض الرّبيط (٨) وتارةً في وادي منتشيل (٩) وغير ذلك مـن المواضع التي على غرناطة. وفي كل ملحمة من هذه الملاحم يثخن كثير من انجاد

(١) قرية الفخار: Alfajar (Alfacar)

(٢) Pulianas: قرية مـن اعمال غرناطة عـدد سكانها اليوم ٩٠٠ نفس حاصلاتها: الزيت

(٣) رسانة ومرسانة ورشانة هي: Maracena من اعمال غرناطة عدد سكانها اليوم ٣٨٠٠.

(٤) طفير: Tafir

(٥) يَغمُور: Yamur

(٦) الجدوى: Aljadua

(٧) رملة أَفَلُوم: Ormilla de Flum,

(٨) الرّبيط al Rabit (Rubite)

(٩) منتشيل: Monachil

الفرسان بالجراحات من المسلمين ويستشهدون آخرون، ومن النصارى اضعاف ذلك، والمسلمون فوق ذلك صابرون محتسبون واثقون بنصر الله تعالى يقاتلون عدوّهم بنيّة صادقة وقلوب صافية ومع ذلك يمشي منهم الرجال في ظلام الليل لمحلّة النصارى ويتعرضون لهم في الطرقات فيغنمون ما وجدوا من خيل وبغال وحمير وبقر وغنم ورجال وغير ذلك حتى صار اللحم بالبلد من كثرته رطل بدرهم.

ومع ذلك لم تزل الحرب متصلة بين المسلمين والنصارى والقتل والجراحات فاش بين الفريقين سبعة اشهر الى ان فنيت خيل المسلمين بالقتل ولم يبقَ منها الا القليل، وفني ايضاً كثير من نجدة الرجال.

تسليم غرناطة

! سقوط آخر حصن للعروبة والاسلام في الاندلس !

استيلاء النصارى على جميع البلاد الاسلاميّة

٨٩٧—٩٠٤ هـ

وفي هذه المدة المذكورة انجلى كثير من الناس الى بلاد البُشرّة لما نالهم من الجوع والخوف، وكانت الطريق للبُشرّة على جبل شُلّير (١) وكان يأتي للبلد على ذلك الطريق خير كثير من القمح والشعير والذرة والزيت والزبيب وغير ذلك من الفواكه والسلع، وما زال حال البلد يضعف ويقل من الطعام والرجال الى ان دخل شهر المحرم من عام سبعة وتسعين وثمانمائة ودخل فصل الشتاء والثلج نازل الجبل وقطع الطريق من البُشرّة فقل الطعام عند ذلك في اسواق المسلمين في غرناطة واشتدَّ الغلاء وادرك الجوع كثير من الناس وكثر السؤال والعدوّ ساكن ببلده ومحلّته، ولقد منع

---

(١) جبل شُلّير: Sierra Nevada

الفحص كله ومنع المسلمين من الحرث والزراعة وقطع الحروب في هذه المدة بين الفريقين، فلما دخل شهر صفر من عام التاريخ اشتدّ الحال على الناس بالجوع وقلّة الطعام وادرك الجوع كثيراً من الناس الموسرين فاجتمع اعيان الناس من الخاصّة والعامّة والفقهاء والامناء والاشياخ والعرفاء ومن بقي من انجاد الفرسان ومن لهم النظر بغرناطة وساروا الى أميرهم محمد بن علي فاعلموه بحال الناس وماهم فيه من الضعف وشدّة الجوع و قلّة الطعام وان بلدهم بلد كبير لا يقوم به طعام مجلوب فكيف ولـم يجلب اليه شيء. وان الطريق التي كانت يأتيهم عليها الطعام والفواكه من البُشرّة انقطعت وان انجاد الفرسان هلكوا وفنوا ومن بقي منهم اثخن بالجراحات وقد امتنع عنم الطعام والزرع والحرث، وان رجالهم هلكوا في تلك الملاحـم ثـم قالوا له: ان اخواننا المسلمون من اهـل عُـدوة المغرب بعثنا اليهم فلم يأتنا احـد منهم، ولا عرج على نصرتنا واغاثتنا (١) وعدوّنا قـد بنى علينا وسكن وهو يزداد قـوةً ونحن نزداد ضعفاً، والمدد يأتيه مـن بلاده ونحن لامـدد لنا، وهـذا فصل الشتاء قـد دخـل ومحلّة عدوّنا قد تفرّقت وضعفت وقد قطع عنا الحرب، وان تكلمنا معه الآن قبل منا واعطانا كل ما نطلب منه، وان بقينا حتى يدخل فصل الربيع تجتمع عليه جيوشه مع ما يلحقنا نحن من الضعف والقلّة فلن يعود يقبل منا ما نطلبه منه، ولا نأمن نحن على انفسنا من الغلبة ولا على بلدنا منه، فانه قد هرب لمحلّته من بلدنا اناس كثيرون يدلونه على عوراتنا ويستعين بهم علينا».

---

(١) موانـع واسباب قاهرة قـد حالت بين المغاربـة وبين نصرة اخوانهم الاندلسيين، وسنفرد درساً خاصاً حول هذه القضيّة نبيّن فيه موقف المغاربة المشرف وتلك العوامل الفعّالة والظروف القهّارة التي وقفت بوجه المغاربة وليس هي كما يفسّرها البعض.

فقال لهم الأمير محمد بن علي: «انظروا ما يظهر لكم وما تتفقون عليه من الرأي الذي فيه صلاحكم.»

فاتفق رأي الجميع من الخاصّة والعامّة ان يبعثوا لملك الروم من يتكلم معه في أمرهم وامر بلدهم، وقد زعم كثير من الناس ان أمير غرناطة ووزيره وقوّاده كان قد تقدم بينهم وبين ملك النصارى النازل عليهم الكلام في اعطاء البلد الاّ انهم خافوا من العامّة وكانوا يحتالون عليهم ويلاطفونهم، فحين اتوهم بما كانوا اضمروا عليه الاّ عفوهم من حينهم ولاجل ذلك كان قد قطع عنهم الحرب في تلك المدة المذكورة حتى وجدوا لذلك الكلام مسلكاً مع العامّة، فلمّا بعثوا لملك الروم بذلك وجدوه راغباً فيه، فانعم لهم بجميع ما طلبوا منه وما شرطوا عليه.

ومن جملة الشروط التي شرط اهل غرناطة على ملك الروم: ان يؤمّنهم على انفسهم وبلادهم ونسائهم وصبيانهم ومواشيهم ورباعهم واجنّاتهم ومحارثهم وجميع ما بايديهم، ولا يغرمون الاّ الزكاة والعشر لمن اراد الاقامة ببلدة غرناطة ومن اراد الخروج منها يبيع اصله بما يرضاه من الثمن لمن يريده من المسلمين والنصارى من غير غبن، ومن اراد الجواز لبلاد العُدوة بالغرب يبيع اصله ويحمل امتعته ويحمله في مراكبه الى اي ارض اراد من بلاد المسلمين من غير كراء ولا شيء يلزمه لمدة من ثلاث سنين، ومن اراد الاقامة بغرناطة من المسلمين فله الامان على نحو ما ذكر، وقد كتب لهم ملك الروم بذلك كتاباً واخذوا عليه عهوداً ومواثيق في دينه مغلّظة على انه يوفي لهم بجميع ما شرطوه عليه.

فلمّا تمت هذه العقود والمواثيق قُرئَت على اهل غرناطة. فلمّا سمعوا ما فيها اطمأنّوا اليها وانقادوا لطاعته وكتبوا بيعتهم وارسلوها لصاحب قشتالة وسمحوا له في الدخول الى مدينة الحمراء والى غرناطة.

فعند ذلك امر أمير غرناطة محمد بن علي باخلاء مدينة الحمراء فاخليت دورها وقصورها ومنازلها واقاموا ينتظرون دخول النصارى لقصبتها.

فلمّا كان اليوم الثاني لربيع الاوّل من عام سبعة وتسعين وثمانمائــة اقبل ملك الروم بجيوشه حتى قرب من البلد وبعث جناحاً من جيشه فدخلوا مدينة الحمراء وبقي هو ببقية الجيش خارج البلد لانه كان يخاف مــن الغدر، وكان طلب من اهل البلد حين وقــع بينهم الاتفاق على ما ذكر رهوناً من اهل البلد ليطمئن بذلك، فاعطوه خمسمائة رجل منهم واقعدهم بمحلّته، فحينئذ قدم كما ذكرنا.

فلمّا اطمأنّ من اهل البلد ولم يرَ منهم غدراً سرّح جنوده لدخول البلد والحمراء فدخل منهم خلق كثير وبقي هو خارج البلد واشحن الحمراء بكثير من الدقيق والطعام والعدّة وترك بها قائــداً من قوّاده وانصرف راجعاً الى محلّته، وبقي حينئذ يختلف بالدقيق والعلوفات وانواع الطعام والعدّة وما يحتاجون اليه وقدّم في البلد قواداً وحكاماً وبوابين وما يحتاج البلد اليه مــن الأمور، وصار المسلمون يختلفون الى المحلّة للبيــع والشراء والنصارى كذلك بالبلد.

فلما سمع اهل البُشرّة ان اهل غرناطة دخلوا تحت ذمّــة النصارى ارسلوا بيعتهم الى ملك النصارى ودخلوا في ذمّته ولــم يبقَ حينئــذ للمسلمين موضــع بالاندلس   فانا لله وانا اليه راجعون!.

ثم ان ملك الروم سرّح الذين كانوا عنده مرتهنين مؤمّنين في اموالهم وانفسهم مكرّمين، ثم اقبل في جيوشه حين اطمأنّ في نفسه فدخــل مدينة الحمراء في بعض خواصه وبقي الجند خارج المدينة وبقي هو يتنزه في الحمراء في القصور والمنازل المشيّدة الى آخر النهار ثــم خرج بجنده وصار الى محلّته.

فمن غــد أخذ في بناء الحمراء وتشييدها وتحصينها واصلاح شأنها وفتح طرقها، وهو مع ذلك يتردد اليها بالنهار ويرجع بالليل لمحلته، فلم يزل كذلك حتى اطمأنت من نفسه غدر المسلمين، فحينئذ دخل البلد ودار فيه في نفر من قومه وحشمه.

فلما اطمأن في البلد سرّح لهم الجواز واتاهم بالمراكب الى الساحل، فصار كل من

اراد الجواز يبيع ماله ورباعه ودوره، فكان الواحد منهم يبيع الدار الكبيرة الواسعة المعتبرة بالثمن القليل وكذلك يبيع جنانه وارض حرثه وكرمه وفدّانه باقلّ من ثمن الغلّة التي كانت فيه: فمنهم مـن اشتراه من المسلمين الذين عزموا على الدّجن ومنهم من اشتراه من النصارى وكذلك جميع الحوائـج والامتعة، وأمرهم بالمسير الى الساحل بمن معهم، يرفعهم النصارى في البحر محترميـن مكرمين ويجوّزونهم الى عُـدوة المغرب آمنين مطمأنين.

وكان ملك الروم قد اظهر للمسلمين في هذه المدّة العناية والاحترام حتى كان النصارى يغيرون منهم ويحسدونهم ويقولون لهم: «انتم الآن عند ملكنا اعزّ واكرم منّا» ووضع عنهم المغارم واظهر لهم العدل، حيلة منه وكيداً ليغرّهم بذلك وليثبطهم عن الجواز، فوقع الطمع لكثير من الناس وظنوا ان ذلك يدوم لهم فاشتروا اموالاً رخيصة وامتعة ابيقة وعزموا على الجلوس مع النصارى.

ثم ان ملك الروم أمر الأمير محمد بن علي بالانصراف عن غرناطه الى قرية اندراش من قرى البُشرّة فارتحل الأمير محمد بعياله وحشمه وامواله واتباعه فنزل قرية اندراش واقام بها ينتظر ما يؤمر (١) به.

ثم ان الطاغية دمره الله ظهر له ان يصرف الأمير محمد بن علي الى العُدوة فأمره بالجواز وبعث المراكب ان تأتي الى مرسى عذرة(٢) واجتمع معه خلق كثير ممن اراد الجواز، فركب الأمير محمد ومـن معه في تلك المراكب في عزة واحترام وكرامة مع النصارى وساروا في البحر حتى نزلوا مدينة مليلية من عُدوة المغرب ثم ارتحل الى مدينة فاس حرسها الله.

---

(١) مخط: يأمر :Cod.

(٢) عذرة Adra بلدة مـن اعمال المريّة، سكانها اليوم ١١٠٠٠ يصب في شواطئها نهر يحمل هذا الاسم يتولّد من سلسلة جبال غرناطة والمريّة

وكان من قضاء الله تعالى وقدره انه لما جاز الأمير محمد بن علي وسار الى مدينة فاس اصاب الناس شدّة عظيمة وغلاء مفرط وجوع وطاعون واشتدّ الأمر بفاس حتى فرّ كثير من الناس من شدة الأمر ورجع بعض الناس من الذين جازوا الى الاندلس فاخبروا بتلك الشدّة فقصّر الناس عن الجواز.

عند ذلك عزموا على الاقامة والدَّجن ولم يجوّز النصارى احداً بعد ذلك الا بالكراء والمغرم الثقيل وعشر المال، فلما رأى ملك الروم ان الناس قد تركوا الجواز وعزموا على الدجن والاستيطان والمقام في الاوطان، أخذ في نقض الشروط التي شرطوا عليه اول مرة ولم يزل ينقضها شرطاً شرطاً ويحلها فصلاً فصلاً الى ان نقض جميعها، وزالت حرمة الاسلام عن المسلمين وادركهم الهوان والذلة واستطال النصارى عليهم وفُرضت عليهم الفروضات وثقّلت عليهم المغارم وقطع لهم الأذان من الصوامع وامرهم بالخروج من مدينة غرناطة الى الارباض والقرى «وان لا يبقى بها الا اولاد السرّاج خاصة» (١).

فخرجوا اذلة صاغرين، ثم بعد ذلك دعاهم الى التنصر واكرههم عليه وذلك سنة اربع وتسعمائة فدخلوا في دينه كرهاً وصارت الاندلس كلها نصرانيّة ولم يبقَ من يقول فيها: لا اله الاّ الله محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جهراً الاّ من يقولها في نفسه وفي قلبه او خفية من الناس، وجعلت النواقيس في صوامعها بعد الأذان وفي مساجدها الصُوَر والصلبان بعد ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن! فكم فيها من عين باكية وكم فيها من قلب حزين وكم فيها من الضعفاء والمعدومين لم يقدروا على الهجرة واللحوق باخوانهم المسلمين! قلوبهم تشتعل ودموعهم تسيل سيلاً غزيراً مدراراً وينظرون اولادهم وبناتهم يعبدون الصلبان ويسجدون للاوثان ويأكلون

(١) هذا المقطع ساقط من ترجمة مولر

الخنزير ويشربون الخمر التي هي ام الخبائث والمنكرات فـلا يقدرون على منعهم ولا على نهيهم ولا على زجرهم ومن فعل ذلك عوقب اشدّ العقاب! فيا لها من فجعة ما امرّها ومُصيبة ما اعظمها واضرّهاوطامة ما اكبرها! عسى الله ان يجعل من أمرهم فرجاً ومخرجاً انه على كل شيء قدير !

وقد كان بعض اهل الاندلس قد امتنعوا من التنصّر وارادوا ان يدافعوا عن انفسهم كاهل قرى ونجر والبشرّة واندراش وبلفيق، (١) فجمع ملك الروم عليهم جموعه واحاط بهم من كل مكان حتى اخذهم عنوة بعد قتال شديد، فقتل رجالهم وسبى (٢) نسائهم وصبيانهم واموالهم ونصرّهم واستعبدهم الا ان اناساً في غربيّة الاندلس امتنعوا من التنصر وانحازوا الى جبـل منيـع وعر فاجتمعوا فيه بعيالهم واموالهم وتحصّنوا فيه فجمع عليهم مالـك الروم جموعه وطمـع في الوصول اليهم كما فعل بغيرهم، فلمّا دنا منهم واراد قتالهم خيّب الله سعيه ورده على عقبه ونصرهم عليه بعد اكثر من ثلاثة وعشرين معركة فقتلوا مـن جنده خلقاً كثيراً من رجال وفرسان واقناد.

فلمّا رأى انه لايقدر عليهم طلب منهم ان يعطيهم الامان ويجوزهـم لعُدوة الغرب مؤمّنين فانعمو له بذلك الاّ انه لم يسرّح لهم شيئاً من متاعهم غير الثياب التي كانت عليهم وجوزهم لعدوة الغرب كما شرطوا عليه ولم يطمع احد بعد ذلك ان يقوم بدعوة الاسلام. وعمّ الكفر جميع القرى والبلدان وانطفى من الاندلس نور الاسلام والايمان! فعلى هذا فليبك الباكون ولينتحب المنتحبون فانا لله وانا اليه راجعون! كان ذلك في الكتاب مسطوراً وكـان أمر الله قـدراً مقدوراً لا مرد لامره ولا معقب

---

(١) مخط : بلفيقيا Belefique. Cod.:

(٢) وفي مخط : سبا، كما عند مللر

الحكمة وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم (١) الخبير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً اثيراً كثيراً.

نزوح مسلمي الانــدلس
الى المغرب

قال المؤلف عفا الله عنه: وقــد وجدتُ مقيداً ما نصه: (٢) ومن تلك الواقعة (اي الواقعــة) التي وقعت ايام الأمير محمد بــن علي بن نصر الخزرجي المبايع في غرناطة في ذي القعدة مــن عام اثنين وتسعين وثمانمائة وعليه قامت النصرانيّة في جميــع مدائــن الاندلس ونُهبت اموال المسلمين واملاكهم ومــن بقي على ملكه وجب عليه الأسر او ان يكون على دين النصرانيّة، حيث ضعفت قوة ذوي الاسلام وماتت الابطال وكانت المجاعة الكبرى بالعُدوة وقلّت رجال العُدوة وقطع الجواز منها الى الانــدلس، فكتب السلطان محمد ابــن علي الى ملك الروم بالصلح فقال ملك الروم: «بشرط ان تمكنني من مدينة الحمراء ومدينة مرون وجبال السبيكة:» (٣) فانعم له بذلك، فقطع النصارى الى المدائن فاخلى لهم تلك الناحيّة مــن المسلمين ودخل النصارى دون اولاد الفنش منهم لقلة زمامهم (٤) وعهدهم.

---

(١) وهذا كله ساقط عند مللر

(٢) وهذا الفصل ساقط بكامله من المخطوطة التي اعتمد عليها المستشرق مارك مولّر في نشر كتابه: اشياء عن غرناطة: والذي اعتمد عليه وأخذ عنه النبيل الشريف حجة العروبة والاسلام الأمير شكيب ارسلان تذييلاً لروايته: آخر بني سرّاج.

(٣) جبال في اعالي الحمراء من غرناطة

(٤) هكذا في الاصل.

وفي عام خمسة وتسعين وثمانمائة كتب ملك الروم الى السلطان بان يجب على المسلمين ان يعينونه بالزرع في كل سنة بالذي وجب في دينكم من الاعشار والزكوات ولا يأكله المسلمون او يكونوا في هيئة الحرب، ثم ضربوا الديوان على ان يؤمّنوا انفسهم واموالهم واولادهم واملاكهم فرضوا بالشروط الا ما حرم الله تعالى، ثم ارتحل ملك الروم الى ناحية المدينة الحمراء ونظر ضعف المسلمين ثم ارتحل الى جبل الفتح قرب غرناطة، ثم بعث بنو الفنش الى ملك قشتالة بان المسلمين في غاية الضعف وقبح الوجنة، فوفدوا عليهم بحشود الروم، فلمّا وصلوا اخذ النصارى يأكلون اموال المسلمين، فاشتكى المسلمون الى الأمير محمد بن علي فقال لهم: «عليكم بالصبر حتى ينتقل الجيش الى قشتالة.» فبعث اليه ملك الروم يقول له: «قل لمن اراد الاقامة في الاندلس من المسلمين فعليه بالصبر، ومن اراد الجواز الى العُدوة يبيع املاكه الى النصارى بالثمن الوافي فعليه الامان والعهد:» ثم انطفى منار الاسلام وانكسرت شوكتهم، وقال ملك الروم: «من اراد الجواز الى العُدوة يحمله النصارى في المراكب من غير كراء ولا يلزمه بشيء مدة من عامين او ثلاثة، ومن اراد الاقامة بغرناطة فعليه الامان».

فلمّا تمت ثلاثة سنين ارتحل ملك الروم الى المدينة الحمراء والى غرناطة، وفي ربيع الاوّل من عام سبعة وتسعين وثمانمائة كتب ملك الروم الى الأمير محمد ابن علي يأمره بالرحيل من غرناطة الى قرى اندراش ثم ضاق الأمر بالمسلمين من دخوله غرناطة فقال الأمير محمد بن علي للمسلمين: «اردت الجواز الى العُدوة فلم يجد من اهل الديوان خبرة واختلف أمر المسلمين مع النصارى فقال لملك الروم: «اردت الجواز الى العدوة» فقال له: نِعَمَ، فاجتمع معه خلق كثير من الناس نحو من سبعمائة رحيل وركب في البحر ونزل مليلية من العُدوة ثم ارتحل الى فاس فوجد بها القحط

في المجاعة الكبيرة فامتنع الناس من الجواز الى العُدوة (١) عن أمر ملك النصرانية وكان من اراد الجواز من المسلمين يجوّزه النصارى بالكراء الوافي لضعف المسلمين وقوة المغارم، وزالت حرمة الاسلام عن المسلمين وقطع لهم الأذان في الصوامع والاجتماع للصلوات في المساجد، ومن اراد الصلاة فعلها في داره، وامر على كبار غرناطة بالخروج من المدينة الى الارباض وقبض على اولاد السّراج واولاد بيرة واولاد طفير، ثم بادر المسلمون بالجواز الى العُدوة من المراسي، فخرج من بقي من اهل مالقة في ثلاثة ايام الى بادس (٢) وخرج اهل المريّة في نصف اليوم الى تلمسان، وخرج اهل الجزيرة الخضراء في نصف اليوم الى طنجة، وخرج اهل رندة وبسطة وحصن موجر وقريــة قردوش وحصن مرتيل الى تطوان واحوازها واهــل ترقة خرجوا الى المهديّة وخرج اهــل منسين الى بــلاد الريف، وخرج اهل دانية واهل جزيرة صقلية في اربعة ايام الى تونس والجزائر والقيروان، وخرج اهل لَوْشَة وقرية الفخار والبعض من غرناطة واهل مرشانة واهل البُشرّة إلى قبيلة غمارة بزاوية سيدي احمد الغزال، وخرج اهل بربرة وبرجة وبولة وانــدراش الى ما بين طنجة وتطوان ثم انتقل البعض منهم الى قبيلة بني سعيد مــن قبائل غمارة وخرج اهل مرينية في يوم الى مدينــة ازيلة (٣) وما قرب منها ثــم خرج اهل مدينة بليش وشيطة وقريــة شريش الى مدينة سلا وخرج ما بقي مــن اهل غرناطة في خمسة عشر يوماً الى بجاية ووهران وبرشد زوالة ومازونة ونفطة وقابس وسفاقس وسوسة، وخرج اهــل طريفة في يوم الى اسفي وزمور وانفة وخرج اهل القلعة الى اجدير.

---

(١) العُدوة: بضم العين المكان المتباعد، ويطلق العرب بر العُدوة على ما سامت الأندلس وشمالي افريقيا وبعدَ عن بلادهــم الى الغرب الاقصى والاوسط والادنى

(٢) هكذا في الاصل، وتكتب اليوم بالياء: باديس

(٣) هكذا في الاصل، وتكتب اليوم بالصاد: اصيلا

فلمّا نظر الروم الى المسلمين قد شرعوا في الجواز ورحل اكثرهم وما بقي منهم الاّ القليل اظهروا لهم حسن المعاملة فوعد الباقون من المسلمين ان يدخلوا في ديـن النصرانيّة عام اربعة وتسعمائة، فدخلوا فيه كرهاً الاّ مَـن اخفى الاسلام، وضربت النواقيس في صوامعها ونُصبت الصلبان في جـوامعها وأُكلت الجيف وشربت الخمورا

ولا حول ولا قوة الاّ بالله العلي العظيم! لمثل هـذا فلتبكِ كل عين فيّاضة بدموع الدم

نسأل الله تعالى السلامة والعافية في الدين والدنيا والآخرة، انه على كل شيء قدير(١)

انتهى كتاب

(نبذة العصر في اخبار ملوك بني نصر)

---

(١) هكذا كان انهيار آخر حصن مـن حصون تلك الانبراطوريّة الضخمة وهكذا سقطت تلك المدنيّة العظيمة التي ارضعت مدنيات الأُمم طرّاً

فهرس جغرافي

اسماء المدن والقرى والاماكن والابراج والحصون والجبال والاسواق الوارد ذكرها
بهذا المؤلف مع ما يقابلها باللغة الاسبانية

INDICE GEOGRAFICO

de los nombres de ciudades, aldeas, lugares, torres, castillos, puertas y
zocos mencionados en esta obra, con su correspondiente en español

المدن والقرى

Ciudades y Aldeas

Granada .... غرناطة

Alhambra de Granada .... حمراء غرناطة

Málaga .... مالقة

Ronda .... الرونـــدة

Jerez [1] .... شريش

Alhama .... مدينة الحمّة (الحامـــة)

Guadix .... وادي آش

Loja .... لوشة

Baza .... بسطة

Olvera .... إلبيرة

Berja .... بـرجـــة

(1) Se trata de Jerez del Marquesado, en el Zenete de Guadix, y no de Jerez de la Frontera.

Dalías (de la prov. de Almería) .... دليد

Almuñécar (de la prov. de Granada) .... مدينة المنكّب

Albaicín .... البيّازيـــن

Padul .... قرية البذول

Alhendín (Hamdan) (de la prov. de Granada) .... همدان

Guéjar-Sierra (de Granada) .... ونجر (انجر)

Almería .... المريّة

Lanjarón .... الانجرون (لانجرون)

Vélez-Málaga .... بلِش مالَقة.

Fiñana (prov. de Almería) .... فنيانة

Lucena .... اللسّانة

Alfacar (alfajar) .... قرية الفخار

Vega (Antiguo emplazamiento de Alka) .... عَتَقَة

Monachil .... منتشيل (منشيل)

Aljadua .... الجدوى

Rubite (al-Rabit) (de la prov. de Granada) .... الربيط

Belfique .... بلفيقيا

Maracena (prov. de Granada) .... رسانة (مرسانة)

Tafir .... طفير

Pulianas (de la prov. de Granada) .... بليانة

Yamur .... يعمور

Barbara .... بربرة

Ormilla de Flum	رملة أَفْلُوم
Alcalá (la Real)	القلعة
Bulia (Bula)	بولـــة
Alpujarra (Alpuxarra)	البُشَرة
Salobreña	الشلوبانية
Santa Fe	شنتفي (شنتا في)
Adra (Puerto de la prov. de Almería)	عذرة
Tarka	ترقة
Tarifa	طريفة (طارفـــة)

(٢) الحصون والابراج

Castillos y Torres

Castillo de Montejicar	حصن مشاقر
Iznalloz (Hiznal-lauz)	حصن اللوز
Saliha	حصن صالحة
Castillo de Vélez	حصن بلّش
Cambil (Campillos)	حصن قنبيل
Moclín	حصن المكلين
Torre de Comarés	حصن قمارش
Zujar	حصن مُوجر
Colomera (Colombeira)	حصن قلنبيرة
Bentomiz	حصن منتميش

Montefrío (Montefrido)	حصن منتفريد
Castillo de Dekvin (Coín)	حصن دكوين
Castillo de Cártama	حصن قرطمة
Hiznalmara	حصن المرّه
Setenil (Xetenin)	حصن شيطنيل (شيطنين) (شبطنيل)
Castillo Aldaha	حصن الضحة
Castillo Almodóvar (del Río)	حصن المدوّر
Castillo de Salobreña	حصن الشلوبانيّة
Castillo de Andrax (Andarax)	حصن اندرش
Alcazaba Vieja	القصبةالقديمة
Axarquía	الشرقيّة

(٣) الابراج والابواب

Torres y Puertas

Torre de Al-Hendin	برج همدان
Torre Salin (Almaláha) (La Malah)	برج الملاحة
Torre de Gavia	برج عويو
Torre de Roma (Soto de Roma actual)	برج رومة
Torre de Arenas (Arniya, Arnilla)	برج قرنية (ارنيّة)
Torre Martín	برج مرتين
Puerta de hierro (Babul-hadid)	باب الحديد
Puerta de las Eras (Bab-Oneider)	باب انيـدر

Castaras .... باب قشتر

Babul-Bonud (Puerta de los Estandartes) .... باب البنود

Puerta de madera (Bab ud-difaf) .... باب الدفاف

Torre de alxemis .... باب الشميس

Bab fax-al-Labua (Fajalauza) .... باب فجّ اللبوة (فجّ اللوزة)

Plaza de albaida (Rabad-Albaida) .... ربض البيضاء

Bab adrar (al Gadar) .... باب عدرر (الغدر)

Arrabad de Albaicín .... ربض البيازين

(٤) الاسواق والجبال والطرق والاماكن

Zocos, Montañas, Caminos y Lugares

Sierra Nevada .... جبل شُلَير

Sierra de Alpujarras (Alpuxarras) .... جبال البُشَرات

Bentomiz .... جبل منتميش

Gibraltar .... جبل الفتح (جبل طارق)

Camino de el Fargue (Alfargue) .... طريق الفرغ

Al Sabica (As-Sabica) .... السبيكة

Taïara (Tayara) .... تيارة

Al Caicería .... القيسريّة

Al-quaraquir (Alcorqueros) .... القراقير (القراقين)

As-Saga (Plateros) .... الصاغة

At-Tabla .... الطبلة

Darro (Río) .... هدارة (دارّو)

المدن والقرى المغربية

Ciudades y Aldeas Marroquíes

Fez	فاس
Tánger	طنجة
Salé	سلا
Tetuán	تطوان (تطاون)
Berxed (Berchid)	برشيد
Suala (Zauila)	زوالة (زويلة)
Masuna (Mazona)	مازونة
Nafta	نَفْطَة
Kabes (Kabis)	قابس
Safacos	صَفاقُس
Anfa	انفة (انفى)
Agadir	اجدير
Asfi (Safi)	اسفي
Bujía	بجاية
Susa	سوسة
Azamor	آزمور
Orán	وهران
Al-Kairuan	القيروان

Túnez .... **تونس**

Al-Berija.................................... **البرية (البريجة)**

Melilla .... **مليلية**

Mamora (Almehdía) .... **المهدية**

Tremecén...................................... **تلمسان**

Bades Vélez de la Gomera .... **باديس**

Arcila .... **ازيلا (اصيلا)**

ضبط بعض اسماء المدن والاماكن في المغرب
التي وردت محرفـة

زوالة: هي زويلة، مدينة بالقطر التونسي على نحو ثلاث مراحل من صَفاقُس وهذه المدينة بناها بنوا عبيد حين بنوا المهدية، فخصوا المهدية لانفسهم وحشمهم واعيان جندهم واسكنوا زويلة هـذه سائر الناس، ولما ارتحل المعزّ الى مصر بعد فتحها ارتحلت معه طائفة مـن اهل زويلة هـذه فاليهم ينسب الباب والحارة التي بالقاهرة اليوم.

مازونة: هي مدينة بالقطر الجزائري بناحية وهران، وقـد أسس هذه المدينة بنوا منديل من ملوك مغراوة البربريين

نَفطَة: بفتح النون وسكون الفاء والطاء مدينة بالقطر التونسي قريبة من توزر بينهما مرحلة، وبينها وبين قفصة مرحلتان.

قابس: بكسر الباء الموحدة بعدها سين مهملة، وهي مدينة بالقطر التونسي واقعت على خليج يسمى باسمها

صَفاقُس: بفتح الصاد المهملة ثم فاء والف وقاف مضمومة وفي آخرها سين مهملة وهـي مدينة بالقطر التونسي على ساحل البحر وهي الآن مرفا تجارى مهم.

أنفه: هي انفى، وهـي الدار البيضاء المرسى المشهورة بالمغرب الاقصى اذ كانت في القديـم تسمى انفى وما سميت بالـدار البيضاء الا في اوائـل القرن العاشر الهجرى.

البرية: لعله تحريف، والاقرب انها البريجة، وهي مرسى الجديدة بالمغرب الاقصى، فان الجديـدة كانت تسمى بهذا الاسم وتسميتها بالجديدة حدث ايام دولة السلطان المولى عبد الرحمان العلوي.

برشدي: هـي برشيد قصبة بالشاوية قرب الدار البيضاء وتعدّ الآن مـن المدن الصغيرة.

ثبت جغرافي عام

صفحة

صفحة

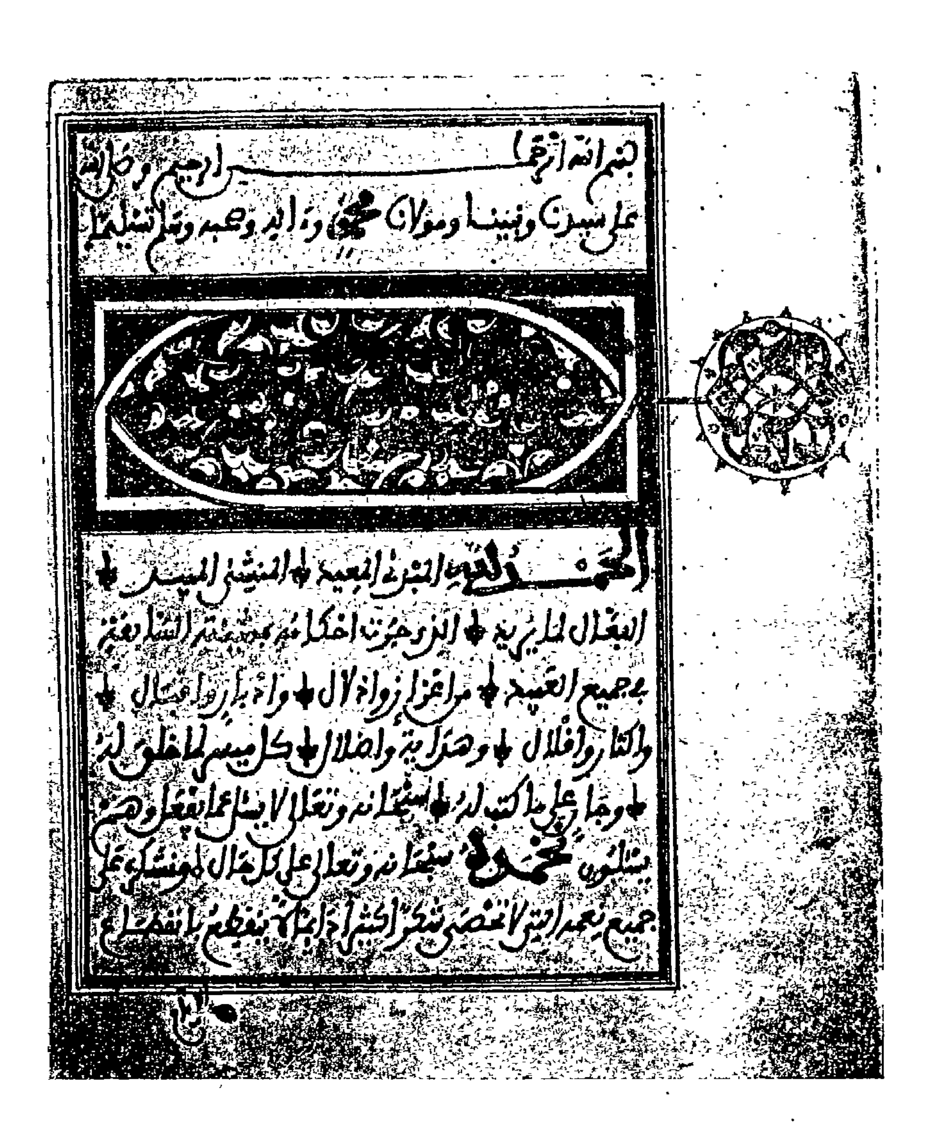
صفحة

صفحة

صفحة

نماذج من مخطوطة تطوان

Modelos del Códice de Tetuán



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله
على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

ابتداء المخطوطة — نموذج رقم ١

Comienzo del manuscrito — Modelo núm. 1

الايام والليالي ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له المنفرد
بالعزة والجلال ونشهد ان سيدنا ونبينا ومولانا محمدا
عبده ورسوله خاتم النبيين والارسال صلى الله وسلم عليه وعلى
ذوي الفضل من الصحب والال صلاة دائمة لا نفاد لها ولا زوال
اما بعد فهذا الكتاب اذكر فيه نبذة من بعض تواريخ
ما وقع في مدة الامير ابي الحسن علي بن نصر بن سعد بن السلطان ابي
نصر السيد محمد بن السلطان ابي الحجاج بن الملوك النصريين ومدة
ابنه محمد ومدة اخيه محمد ايضا رحمهم الله وكيف
استولى العدو على جميع بلاد الاندلس في تلك المدة وعولت
في ذلك على الاختصار دون الاكثار والاختصار وتركت التطويل وان كان
الا ان باعي في التأليف قصير وبضاعتي في الفصاحة مزجاة

وسميته نبذة العصر
في اخبار ملوك بني نصر

قال المؤلف عفا الله عنه لما استقام ملك الاندلس للامير

B

نموذج آخر من مخطوطة (تطوان) رقم ٢

Otro modelo del Códice de Tetuán Núm. 2

نموذج آخر من مخطوطة تطوان

رقم ٣

Modelo núm. 3

من آنس بسر نور الاسلام والايمان فعلى هذا فليبك الباكون
وينتحب المنتحبون وانا لله وانا اليه راجعون كان ذلك في
الكتاب مسطورا وكان امر الله قدرا مقدورا لا رادّ لامره
ولا معقب لحكمه وهو القاهر فوق عباده وهو العليم الخبير
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا
ونبينا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ابدا كثيرا

نموذج رقم ٤

Fin del Códice A

انتهاء المخطوطة

Modelo núm. 4

انتهى بحمد الله وحسن عونه

على يد عبيد ربه تعالى وأفقر الورى لرحمته مولاي الحسن بن محمد القادري

ابن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن محمد بن سعيد بن عثمان بن الحسن

[illegible] الشيخ أبو القلاوي [illegible] البلكولي الفلالي

كان الله وليا ومعينا كتبه [illegible] بعد انتهاء [illegible]

الحاج [illegible] الله الحرام الحاج عبد الكريم الغوث الله

[illegible] الغوث في الدنيا كان الله له في جميع الدارين

بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وتابعيه

Fin del Códice B

هكذا تنتهي مخطوطة تطوان

انتهى بحمد الله وحسن عونه على يد عبد ربه تعالى واحقر الورى لرحمة مولاه الحسن بن عبد القاهر بن محمد بن احمد بن علي بن الحسن بن محمد ابن سعيد بن عثمان بن الحسن اليدراسني الوفلاوي المجغاني الحلكوسي اليلولي الطالبي كان له ولياً وبه حفياً، كتبه للأخ في الله التاجر الافضل والامين الامثل حاج بيت الله الحرام الحاج عبد الكريم راغون الاندلسي المريي الراغوني الصامتي كان الله له في جميع الدارين بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبآله وصحبه وتابعيه.

El manuscrito concluye del siguiente modo:

«Con alabanzas a Dios por su generosa ayuda, termina aquí la obra escrita por mano del siervo de su Señor, el más necesitado entre los hombres de la misericordia divina. El Hasan ben Abdelcahir ben Mohammed ben Ahmed ben Alí ben El Hasan el Yadrasni el Wafalawi el Machgani el Halkusi el Yluli el Talibi. Copióla para su hermano en el Señor, el cumplido comerciante y ejemplar amín Abdelkrim Aragón el andalusi al marii (¿el de Almería?) el raguni el Samiti, asístale Dios en ambas mansiones, la presente y la futura, por intercesión de nuestro Señor Mohammed, sobre quien sea la oración y la salvación de Dios, así como sobre su familia, compañeros y discípulos.»

رسالــة

بعث بها عبد الله محمد بن نصر سلطان غرناطـة وما اليها من بلاد المسلمين الى الضون خوان الثاني سلطان قشتالة وليون بتاريخ ٥ من ذي القعدة عام ٨٤٦ هجري موافق السابع مـن شهر مارس سنة ١٤٤٣ مسيحيّة، وهي من جملة مجموعة الوثائق والرسائل التاريخيّة التي كانت محفوظة بين وثائق المركيز ديل كنبو ريال في مـدينة شريش والتي وضعها صاحبها تحت تصرف مؤسّسة الجنرال فرنكو.

نص الرسالــة

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

الى السلطان المعظَّم، الخبير الحافل الاسمى، الاصيل الاشهر الاوفى، ذون خوان سلطان قشتالة وليون اكرمه الله تعالى بتقواه، واسعده برضاه.

سلام عليكم سلاماً يراجع سلامكم كثيراً اثيراً، من الكثير الحب في مقامكم المبني على مكارم سلطانكم عبد الله بن محمد بن نصر سلطان غرناطة وما اليها من بلاد المسلمين ايده الله بمعونته ويسره، كتبه اليكم من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى عن الخير والعافية وما عوّد الله من النعم الوافية، وعن الذي تعلمونه من المحبة والمودة الخالصة الى ما لنا من تعظيم مقداركم، وترفيع مقامكم، والى هذا ايها السلطان المعظَّم فان كتابكم الاثير وصـل الينا ووقفنا على ما ذكرتم فيه من كون مقامكم عرف بأن منذ شهر (١) . . . . في الطريق القريبة من رندة . . . وأُخِذَ له

(١) البياض في الاصل هو اثر العثة والارضة

جملة من الذهب وطلب من مقامكم العزيز . . . وانّه ظهر لكم الكَتْب الينا فيها والرغبة منكم لنا في ان نأمر بالبحث عـن القضيّة حتى يُعْلم الحق فيها وان نأمر بالحكم على الفاعلين والانصاف من الذّهب المذكور مما تضمنه كتابكم من الجزئيات واستوفينا جميع ذلك،

ويعلم الله ايها السلطان المعظم ان ذلك الواقـع مما شقّ علينا، وعظم لدينا مما لنا مـن القصد الجميل في الخير وبما نخص بـه جاهكم الرفيع مـن المحبة الصادقة والمودة الخالصة، وان ساعـة وقوفنا على كتابكم الخطير امـرنا بالمبادرة بالكَتْبِ لقوادنا واشياخنا برونـبدة والشبطنيل والجهة كلها ووكّدنا في البحث عن القضيّةِ المذكورة حتى تقفوا على جليّةٍ منها وحقيقةٍ فيها كما يجب، وأمرناهـم ان يشتدّوا في الطلب على المفسديـن والقبض عليهم حيثما وَجَدُوهُم ليعاقبونهم بالشرع، وامرناهـم بالانصاف والاخلاص من جميع ما أُخِذَ المذكور ان شاء الله.

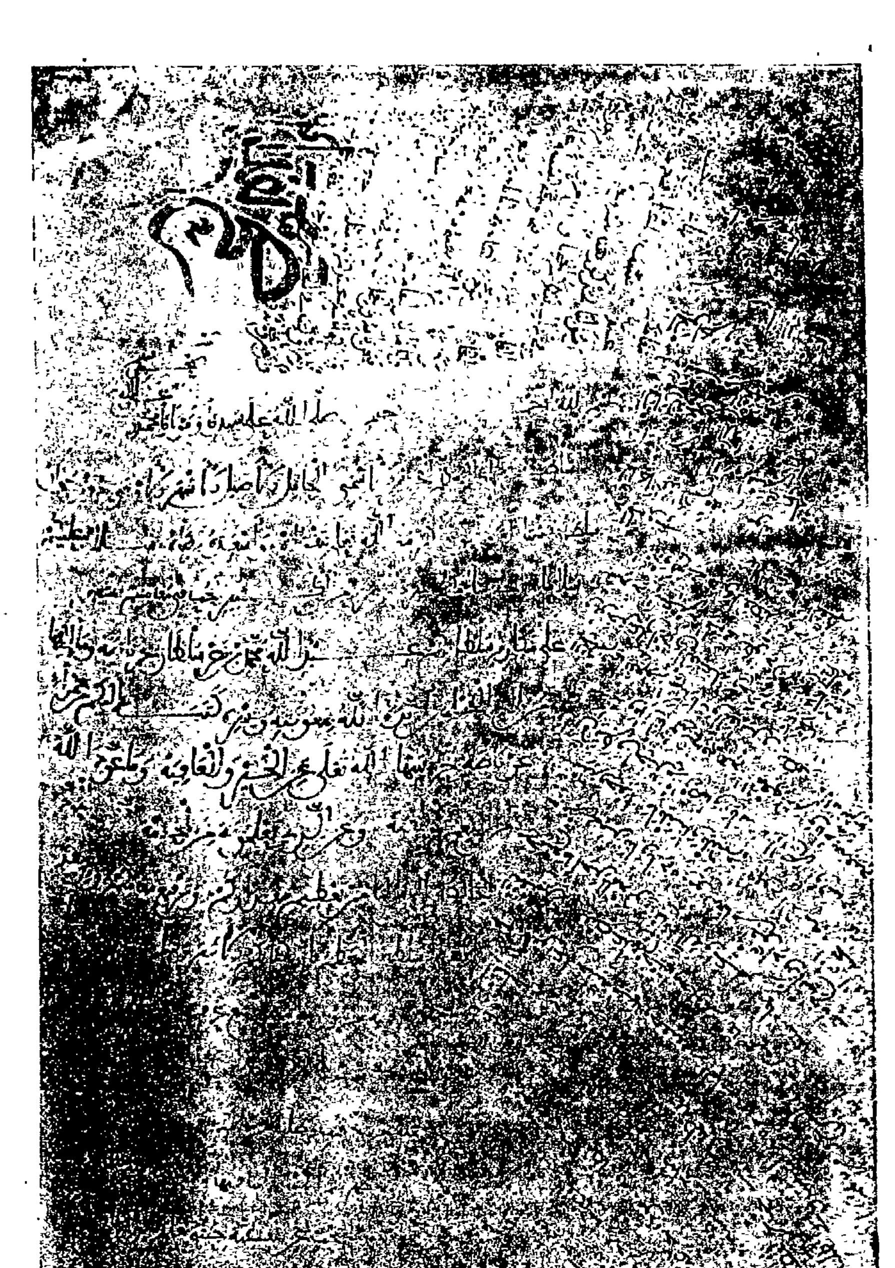
واعلموا ايها السلطان المعظم اننا ما زلنا نكتب لجميع مـن في مدننا وبلادنا ومواضعنا من القواد والاشياخ . . . والتسكين وحفظ ما بيننا وبينكم من العهود الكريمة والمحبة القديمة وان لا يتطرق احد من ارضنا ورياستنا الى ضرر او فساد بارضكم ورياستكم وما زلنا نُوكد في هـذا المعنى كثيراً ونأمر بتنفيذ الحُكم فيما يقع مـن الشكايات والمفاسد وان ينصف ذلك بالشرع ويُوخـذ على ايدي الفاعلين ويحكم فيهم بما يجب مـن . . . . الشديـد الى غير ذلك مما يطول ذكره وربما يكون الحكم قد وقع في هـذه القضيّةِ التي ذكرتم فاعلموا ذلك . . . . ايها السلطان المعظّم انه لما طال هنالكم مقام رسولنا القائد ابراهيم الامين اعزّه الله واستمر علي وجهته المباركة بحول الله أزيد من عام وبما تشوشت مـن الجهتين النفوس وتشغبت الخواطر ووجد المفسدون من الجهتين سبيلًا الى الفساد،

وقد وقع بجهات كثيرة جملة من المفاسد والشكايات، وامرنا وزير مقامنا حفظه الله ان يعرّف مقامكم العزيز ببعض منها على الاختصار لتكون . . . عندكم السبب، والاعظم في ذلك انما هـو ابطاء رسولنا المذكور هنالكم، ونحن نرغب منكم ان تنظروا في ذلك نظركم الجميل وان تأمروا بابرام الحديث مع رسولنا القائد ابراهيم الامين المذكور فيما توجـه اليه لسبيله على مقتضى المحبة الخالصة والمودة الصادقة وكما يليق برفيع مقداركم . . . . والله يهيء ما فيه الخير للجميع بحوله وكرمه، وكل ما يكون لمقامكم العزيز بدارنا ورياستنا من الحوائج والاغراض فنحن ياسرنا لعمل الواجب في ذلك، والله يرفع قدركم ويزكي الخير عندكم والسلام يراجع سلامكم كثيراً اثيراً.

وكتب في الخامس لشهر ذي القعدة عام ستة واربعين وثماني مائة.

صح هذا

انتهى



lo cual, os rogamos que dediqueis a estos asuntos vuestra benévola atención, dando las oportunas órdenes para que se entablen con nuestro embajador conversaciones sobre los asuntos para cuya resolución ha sido enviado; todo ello en conformidad con el sincero afecto y leal amistad que nos profesamos y de acuerdo con lo que corresponde a Vuestra elevada categoría..... Que Dios, con su poder y generosidad, disponga las cosas en forma favorable para todos. Y todo lo que en nuestra casa y reino haya y sea de necesidad o interés para Vuestra Alteza, estamos propicios a hacer las necesarias gestiones para que sea una realidad.

Dios eleve vuestro rango y os conceda abundantes bienes.

Todo ello acompañado de un saludo, fuente de otras reiteradas e incontables salutaciones.

Escrito a 5 del mes de dulcada del año 846—1442—.

Este documento es auténtico. Termina.

hemos escrito a todos los caides y jeques de nuestra ciudad, pueblos y lugares [recomendándoles] (1) procuren la paz y la observancia de los honrosos pactos y de la antigua amistad entre nosotros dos existentes, sin permitir que ningún individuo de nuestra tierra y jurisdicción se propase a perpetrar daño o perjuicio alguno en vuestra tierra y jurisdicción. Mucho es lo que en este punto hemos insistido ordenando se ejecuten las sentencias dictadas como consecuencia de quejas y de daños causados y se haga justicia con arreglo a la Ley; y mandando que a los autores se les capture y se les aplique el condigno riguroso [¿castigo?] (2), y otras muchas cosas que sería largo enumerar.

Debido a esas mis prevenciones, es muy posible que en el asunto que vos mencionáis haya recaído ya sentencia, lo cual debeis tener muy en cuenta.

Considerad, ¡oh gran Rey!, que la prolongada permanencia junto vos de nuestro embajador el caid Ibrahim El Amin—Dios le glorifique—y su residencia en vuestra corte, continuada por más de un año, origina el que por ambas partes se solivianten las gentes y se inquieten los espíritus, pues con ello encuentran los perturbadores de uno y otro bando ancho campo para sus fechorías. Son muchos los lugares en los cuales se han producido diversos atentados y querellas, de varios de los cuales hemos encargado a nuestro embajador—guárdelo Dios—hiciese a Vuestra Alteza sucinto relato, para que las tengais [¿en calidad de pruebas?] (3).

La causa principal de todas esas turbulencias, es la morosa permanencia ante Vos de nuestro embajador. Por

---

(1) En blanco en el texto.

(2) En blanco en el texto.

(3) En blanco en el original.

A esto se ha de añadir, ¡oh gran Rey!, que ha llegado a nuestro poder vuestro honorable escrito, por el cual nos hemos enterado de lo que allí se menciona referente a que Vuestra Alteza ha sido informado que hace un mes [¿fué asesinado un individuo?][1] en el camino próximo a Ronda y despojado de cierta cantidad de oro; que se solicita de Vuestra gloriosa Alteza (la reparación de tal injusticia); que os ha parecido bien escribirnos y rogarnos que ordenemos una investigación, a fin de que se aclare lo que haya de verdad en esta cuestión, y que mandemos condenar a los autores; que se haga una justa restitución del oro, y otros muchos pormenores, de todos los cuales hemos quedado perfectamente enterados.

Bien sabe Dios, ¡oh gran Rey!, cuánto me apena este asunto y la gravedad que le concedo, no sólo por mi buena intención de practicar el bien, sino que también por el sincero afecto y leal amistad que profeso a Vuestra Alteza. Por eso, en cuanto nos enteramos de vuestro importante escrito, hemos ordenado que con toda presteza se escribiese a nuestros caides y jeques en Ronda, Setenil y toda la comarca, encareciéndoles la necesidad de que se investigase el mencionado asunto, a fin de que nos percatemos, como es debido, de la entraña y realidad de lo acaecido. Asimismo les hemos ordenado, no sólo que redoblen sus esfuerzos para la busca y captura de los malhechores en cualquier parte que éstos fueren habidos, con objeto de que sean castigados con arreglo a la Ley, sino que también se repare y restituya cuanto haya sido arrebatado al sujeto en cuestión, lo cual se hará todo con el favor divino.

Sabed, además, ¡oh gran Rey!, que constantemente

---

(1) En blanco en el texto. Pero en el original parece leerse قتل *(Nota del traductor.)*

Carta enviada por Abdalá Mohammed ben Nasr, sultán de Granada y de las tierras musulmanas de ella dependientes, al Rey D. Juan II, Rey de Castilla y León, fechada el 5 de dulcada del año 846 de la Hégira, correspondiente a 7 del mes de marzo del año cristiano 1443.

(Forma parte de la colección de documentos y cartas históricas existentes en la ciudad de Jerez y conservadas en el archivo del Marqués de Campo Real. Su propietario las ha puesto a disposición del INSTITUTO GENERAL FRANCO.)

En el nombre de Dios clemente y misericordioso. Ruegue Dios por nuestro Señor Mohammed, por sus familiares y compañeros y sálvele a él y a ellos.

Al gran monarca, el prudente, el magnífico, el ensalzado, el de rancia estirpe, el celebérrimo, el lealísimo D. Juan Rey de Castilla y León, dispénsele Dios el honor del temor divino y concédale la felicidad de ser a El acepto. Recibid un saludo, fuente de otras reiteradas e incontables salutaciones, de parte de quien siente por Vuestra Alteza un profundo cariño que se funda en vuestras reales prendas, Abdalá ben Mohammed ben Nasr, sultán de Granada y de las comarcas musulmanas de ella dependientes, socórrale Dios con su ayuda y favor. Escríbeos la presente desde la Alhambra de Granada—guárdela Dios—deseándoos bienestar, salud y demás cumplidas gracias que Dios suele conceder y expresándoos el cariño y la sincera amistad que os es bien conocida, como conocido es nuestro afán de ensalzar vuestro rango y de sublimar vuestra elevada posición.

فهرس عام للمواد

صفحة

صفحة